

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة غليزان



كلية الآداب واللغات
قسم اللغة العربية
تخصص: أدب جزائري

العنوان

الحيز لى عبد الملك مرتاض في كتابه القصة الجزائرية المعاصرة

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على شهادة الماستر

إشراف

إعداد الطالبة:

—لمجادي سورية

— صحراوي مختارية

لجنة المناقشة:

رئيسا

جامعة غليزان

1 - أ/ مقدم فاطمة

مشرفا ومقررا

جامعة غليزان

2 - أ/ لمجادي سورية

عضوا مناقشا

جامعة غليزان

3 - أ/ نورية بويش

السنة الجامعية: 2024/1445_2025_1446



سُرَّةُ الْكِرَامِ وَتَقْدِيرُ

قال الله تعالى في كتابه الكريم: "ولئن شكرتم
لأزيدنكم"

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله وكرمه
أتمننا هذا العمل المتواضع رغم ما اعترض طريقنا من
صعوبات وتحديات.

أتقدم بخالص الشكر وعظم الامتنان الى أستاذتنا
الفاضلة "**لمجادي سورية**" التي كانت خير موجه
وداعم، بما قدمت لي من ملاحظات بناءة وتوجيهاتها
علمية سديدة ساهمت في إجراء هذا البحث.
كما لا يفوتني أن أعبر عن امتناني لكل الأساتذة

إِهْدَاء

وأخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين"
إلى من كانوا سنداً لي في كل لحظة من هذا المشوار
العلمي.

إلى والداي العزيزين اللذين زرعاً في حب التعلم وسهراً
على دعمي بكل الطرق
إلى أساتذتي الذين لم ييخلوا بعلمهم
إلى كل صديق أو زميل قدم لي نصيحة أو دفعني
بكلمة.

أهدي هذا العمل المتواضع عرفانا وشكراً لهم جميعاً.

صحراوي مختارية

الشكر والتقدير	/
الإهداء	/
الفهرس	/
مقدمة	أ-ث

مدخل: تعريف المؤلف عبد الملك مرتاض مؤلف كتاب القصة الجزائرية المعاصرة

تعريف المؤلف (عبد الملك مرتاض)	02
مؤلفاته	08
وفاته	11
تعريف المؤلف (كتاب القصة الجزائرية المعاصرة)	12
الوصف الخارجي للكتاب	13
محتوى الكتاب	18
أسباب اختياره لهذا الكتاب	20
نبذة عن الكتاب	21

الفصل الأول: مفهوم الحيز في الدراسات النقدية

المبحث الأول: التعريف اللغوي	
المبحث الثاني: مفهوم الحيز في الدراسات النقدية الغربية	24
المبحث الثالث: مفهوم الحيز في الدراسات العربية	29

الفصل الثاني: الحيز لدى عبد الملك مرتاض قراءة في كتاب القصة

الجزائرية المعاصرة

المبحث الاول: الحيز لدى عبد الملك مرتاض	36
المبحث الثاني: الحيز في كتاب القصة الجزائرية المعاصرة	39
المبحث الثالث: تحليل اعمال اخرى لعبد الملك مرتاض	55
المبحث الرابع: الانتقادات	71
خاتمة	74
قائمة المصادر والمراجع	76
الملحق	83
ملخص باللغة العربية	86
ملخص باللغة الفرنسية	87

الكلمات المختصرة

الجزء	ج
مجلد، مجلة	مج
مترجم	تر
محقق	تح
الطبعة	ط
العدد	ع
الصفحة	ص

مَقْدَمَة

يعد مصطلح الحيز من المفاهيم الأساسية التي فرضت حضورها بقوة في النقد السردى المعاصر، خاصة في تحليل النصوص الأدبية ذات البعد الواقعي أو الرمزي ويكمن جوهر المصطلح في كونه لا يقتصر على تحديد الإطار المكاني للأحداث بل يمتد ليشمل شبكه من العلاقات الدلالية والثقافية والنفسية التي تشترك مع باقي مكونات النص السردى .

في هذا السياق يبرز التوجه النقدي الذي يعيد الاعتبار للحيز بوصفه عنصرا بنائيا فاعلا لا مجرد خلفيه خامله وقد وجدت من خلال اطلاعي على عدد من الدراسات السردية والتحليلات التطبيقية، ان مفهوم الحيز يشكل مدخلا فعالا لفهم خصوصيات القصة الجزائرية المعاصرة، لا سيما عندما يقارب من زاوية سيميائية تنظر اليه كعنصر منتج للمعنى ومن هنا جاءت هذه المذكرة لتسليط الضوء على تجليات هذا المفهوم من خلال قراءه تحليليه في كتاب القصة الجزائرية المعاصرة، مع الاستعانة بأعمال تطبيقية اخرى لنفس الكاتب، وذلك بهدف الكشف عن طبيعة هذا المفهوم، ووظيفته داخل البنية السردية وحدوده في الطرح والتحليل .

بناء على ذلك تجلت لنا جملة من التساؤلات نجملها فيمايلي:

- ما طبيعة مفهوم الحيز في الخطاب النقدي عند عبد الملك مرتاض؟
- كيف يوظف عبد الملك مرتاض مفهوم الحيز في قراءته للنصوص السردية؟
- ما مدى تأثير الحيز على جمالية النص الروائي عند مرتاض؟
- كيف تختلف مقاربه مرتاض للحيز عن مقاربات نقاد اخرين داخل النقد العربي المعاصر؟

ومن أهم اسباب اختيار الموضوع، الرغبة في فهم آليات تحليل الفضاء الروائي عند ناقد عربي معاصر بارز ومحاولة الربط بين التنظير النقدي والتطبيق السردي لدى عبد الملك مرتاض.

ومن الاسباب الموضوعية: ندرة الدراسات التي أفردت موضوع الحيز بالدراسة في أعمال عبد الملك مرتاض وأهمية الحيز كعنصر جوهري في بناء المعمار السردى.

وبعد الهدف الأساس من هذه الدراسة هو الكشف عن تصور عبد الملك مرتاض للحيز في الخطاب النقدي، وبيان دوره في فهم النصوص السردية وإبراز علاقته بالمكونات السردية الأخرى مع التركيز على الجانب المفهومي والتطبيقي.

1) أهمية موضوع الحيز: (الدراسات السابقة)

- يسهم في تجديد الدراسات النقدية من خلال توظيف مفاهيم حديثة في سياقات عربية.
 - حنان مقلاني، أبعاد المكان ودلالاته في رواية البيت الأندلسي لواسيني الأعرج دراسة سيميائية.
 - سويسى أمينة ودبال لامية، مظهرات الفضاء في رواية لعبة السعادة لبشير مفتي
- واقترضت طبيعة الموضوع تقسيم البحث إلى مدخل وفصلين، تناول المدخل تعريف المؤلف والمؤلف، وتضمن الفصل الأول مفهوم الحيز في الدراسات النقدية، حيث تناول المبحث الأول التعريف اللغوي (المكان، الفضاء، الحيز)، أما المبحث الثاني مفهوم الحيز في الدراسات النقدية الغربية، أما المبحث الثالث فتناول مفهوم الحيز في الدراسات النقدية العربية. أما المبحث الرابع مفهوم الحيز عموماً عند عبد الملك مرتاض.

مقدمة

- وجاء الفصل الثاني معنونا ب الحيز من منظور عبد الملك مرتاض في كتاب القصة الجزائرية المعاصرة، خصص المبحث الأول لدراسة الحيز في كتابه القصة الجزائرية المعاصرة، أما المبحث الثاني فكان عبارة عن تحليل أعمال أخرى لعبد الملك مرتاض، إضافة الى الانتقادات. في حين تضمنت الخاتمة أهم النقاط والنتائج التي توصل إليها هذا البحث.
- و اتبعت المنهج الوصفي التحليلي مستندة على مراجع متنوعة أهمها:
- عبد الملك مرتاض (القصة الجزائرية المعاصرة)، وكذا (في نظرية الرواية). مرجع رئيس لدراسة تصور مرتاض للحيز داخل نظريته الروائية .
- غاستون باشلار، (جماليات المكان)
- بناجي ملاح، (المصطلح النقدي عند عبد الملك مرتاض الحيز نموذجاً).
- ومن أهم الصعوبات التي واجهتني في إعداد المذكرة :
- قله المراجع المتخصصة التي تعالج الموضوع بدقه خاصة في السياق الجزائري. مما تطلب بحثا موسعا في مصادر متفرقة.
- التوفيق بين الجانب النظري والتطبيقي، حيث تطلب الموضوع قراءة معمقة للنصوص الأدبية وربطها بمفاهيم نقدية متجددة.
- الظروف الميدانية والتعليمية كقلة الوقت وضغط البرامج الجامعية خصوصا خلال مراحل جمع المادة وتحليلها.

مقدمة

أتقدم بجزيل الشكر والعرفان للأستاذة الفاضلة (سورية مجادي) المشرفة على هذه المذكرة، لما أبدته من توجيه كريم ونصح مستمر وتحفيز علمي ساعدني على تجاوز الكثير من العقبات، كما لا يفوتني أن أشكر أعضاء اللجنة المناقشة لما تفضلوا به من وقت لقراءة هذا العمل وتقديم ملاحظاتهم العلمية التي اعتر بها كثيرا.

مدخل

تعريف المؤلف عبد الملك مرتاض.

. تعريف المؤلف (كتاب القصة الجزائرية

مدخل:

تعريف المؤلف (عبد الملك مرتاض):

"زخر العالم العربي بالعديد من المفكرين الأدباء وحتى النقاد وسطعت فيه أسماء كبيرة كان لها شأن عظيم وصدى في الساحة الأدبية، كما كانت أعمالهم الأدبية والنقدية لها أثر كبير في الفكر العربي، واستطاعوا بإنجازاتهم أن يحفروا أسماءهم في الذاكرة العربية، ومن بين الأسماء التي عرفت بإبداعها" *عبد الملك مرتاض .

نشأ الكاتب الجزائري عبد الملك مرتاض بولاية تلمسان مسيرة، من مواليد...10.يناير.1935. كان حافظا للقرآن الكريم بمجوعة الخماس، مطلعاً على الكتب القديمة بالإضافة إلى رعيه للأغنام وعندما كبر اتجه إلى فرنسا بحثاً عن منصب ملائم، حيث انخرط في معامل لا ستوري، رجع إلى بلده عام.1954.. لكنه لم يبق فيها إلا بضعة أشهر ثم سافر إلى مدينة قسنطينة للالتحاق بمعهد الإمام عبد الحميد بن باديس، ثم توجه إلى المغرب (فاس) سنة...1955. من أجل مواصلة تعليمه في جامعة القرويين إلا أن المرض حال بينه وبين ذلك. عين سنة..1956. مدرسا للغة العربية في إحدى المدارس الابتدائية بمدينة أصفير (المغرب)، تحصل على شهادة البكالوريا سنة.1960.*

* درقاوي صارة، رتول عائشة، مع الأدب العربي القديم للدكتور داود سلوم، فتح الله محمد، شهادة ماستر، أدب عربي

قديم،، جامعة أحمد بن يحيى الونشريسي تيسمسيلت 2020 ص 6

*كامل سليمان الجبوري، معجم الادباء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002، باب العين. ج 4 ص 144

سجل في المدرسة العليا للأساتذة بالرباط، حيث تخرج عام 1963 بشهادة الليسانس في الآداب.

عين مستشارا تربويا بوهراة إلا أنه فضل العمل كأستاذ بالرباط. ثم عاد إلى الجزائر ليلتحق بثانوية ابن باديس (وهراة) أستاذًا إلى غاية..1970.

نال شهادة الدكتوراه من كلية الآداب بجامعة الجزائر في..1970.

وفي نفس السنة تقلد منصب رئيس دائرة اللغة العربية وآدابها، بعدها مديرا للمعهد سنة...1974 بوهراة .

شغل مناصب مختلفة نذكر منها: رئيس فرع اتحاد الكتاب الجزائريين بالغرب الجزائري.1975.مثل الجزائر في مهرجان الشعر العالمي الذي انعقد ب (يوغوسلافيا)ويقوم بتدريس الأدب الشعبي والأدب الجزائري في جامعة وهران وهو في الوقت نفسه يشرف على دبلوم الدراسات المعمقة حول الأدب الجزائري.¹

(1) مؤلفاته :

"حين ننظر في تجربة عبد الملك مرتاض الطويلة الواسعة المتنوعة في الكتابة النقدية، يلوح لنا ناقدا ممتلكا لأدوات النقد، مستوفيا لشروطه : رهافة ذوق، ورقة شعور، وبقظة فكر، وسعة خيال، وطلاقة

¹ كامل سليمان الجبوري، معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة، 2002، ص 144

بيان"¹. وبالتالي فقد تعددت مناهله وتنوعت مؤلفاته، ومنه سنعدد الثمار التي جناها الأدب الجزائري

من مسيرة عبد الملك مرتاض :

- القصة في الادب العربي القديم 1968
- نهضة الادب العربي القديم 1971
- فن المقامات في الادب العربي 1980
- الثقافة العربية في الجزائر بين التأثير والتأثر 1981
- العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى 1981
- الالغاز الشعبية الجزائرية 1982
- الامثال الشعبية الجزائرية 1982
- المعجم الموسوعي لمصطلحات الثورة الجزائرية 1983
- فنون النثر الادبي بالجزائر 1983
- النص الأدبي من أين؟ وإلى أين؟ 1983
- بنية الخطاب الشعري 1986
- في الأمثال الزراعية 1987
- الميثولوجيا عند العرب 1989

¹ عبد الملك بومنجل، قراءة عبد الملك مرتاض الحداثية للنص الشعري العربي، مج: الآداب واللغات ع 3 جانفي 2016،

جامعة سطيف 2، ص 47

- ألف ليلة وليلة 1989
- عناصر التراث الشعبي في اللازب 1987
- القصة الجزائرية المعاصرة 1990
- الشيخ البشير الابراهيمي 1984
- شعرية القصيدة-قصيدة القراءة 1994
- نظام الخطاب القرآني 1994¹

¹ يوسف وجليسي، النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسنية، إصدارات رابطة إبداعالثقافية، كلية الآداب واللغات جامعة قسنطينة، ص 195 196

- تحليل الخطاب السردي 1995
- مقامات السيوطي (تحليل سيميائي) 1996
- قراءة النص. كتاب الرياض 1997
- في نظرية الرواية 1998
- العشر معلقات 2000
- الأدب الجزائري القديم (دراسة في الجذور) 2000
- رواية دماء ودموع 1963
- رواية نار ونور 1964
- رواية الخنازير 1985
- رواية صوت الكهف 1986
- هشيم الزمن مجموعة قصصية 1988
- رواية حيزية¹
- رواية مرايا متشظية 2000
- حياة بلا معنى رواية قديمة مخطوطة

¹ يوسف وغليسي، الخطاب النقدي عند عبد الملك مرتاض (بحث في المنهج وإشكالياته)، ص 133 134.

- قلوب تبحث عن السعادة رواية قديمة مخطوطة

رواية مملكة العدم¹

(2) وفاته :

"توفي عبد الملك مرتاض بعد معاناة المرض في الجزائر، يوم الجمعة. 3.. نوفمبر. 2023.."² رحل عن عمر ناهز 88 عاما، بعد أن ترك بصمة لا تمحى في مجال اللغة العربية في الجزائر. كان من أعمدتها ومن ساهموا في تكوين أجيال متعاقبة، وبرحيله، يظل أثره حاضرا في الساحة الثقافية، إذ يعد من الأسماء اللامعة التي أغنت الفكر العربي بمؤلفات نقدية، ودراسات لغوية، وأعمال أدبية ذات قيمة عالية

"أما مصادره فارتكزت على محورين الأول حدثي والثاني تراثي

مما" ساعده على التعامل مع الثقافة الوافدة ببصيرة متفتحة وذوق أصيل، فلم يتعامل مع المناهج الغربية بروح آلية عمياء، بل كان يطعمها بذوق تراثي، ويصل الغربي بالعربي كما فعل بين (جان كوهين) و(الجاحظ)... وبعض البلاغيين العرب "وهذا ما جعله من أبرز النقاد العرب الذين يحاولون الربط بين المفاهيم الحديثة والتراث العربي"³ إنه نموذج الأستاذ الجامعي، المتطور، والمطور لتقنيات عمله والمجدد دوما... والمتري للحركة الأدبية والباحث دوما في إطار تخصصه واهتمامه بالنشاط الأدبي عن الشيء الجديد والأجود"⁴

¹ <https://ar.wikipedia.org>

² ينظر، يونس أوغلي، أحد آباء الأدب الجزائري الحديث. وفاة الناقد الكبير عبد الملك مرتاض، الجزيرة ، 6 نوفمبر 2023

³ طارق ثابت، عبد الملك مرتاض وجهوده في التنظير لتحليل الخطاب الأدبي المنهج السيميائي نموذجاً، مج الأثر، أشغال الملتقى الثالث في تحليل الخطاب، الجزائر، ص 14

⁴ شريط أحمد شريط، مباحث في الأدب الجزائري المعاصر، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، ط. 1. 2001. ص 17

ومن بين أقوله رحمه الله في تفضيله للنشر عن الشعر «حيي الشديد للنشر الادبي في الجزائر وتلقي به أكثر من الشعر ولا سيما بعد أن توثقت الصلة بيني وبين بعض الكتاب الجزائريين الذين لا يرحون أحياء... ولعل ايلاعي بالنشر في حد ذاته كان سببه اشتغالي بفن المقامات في الادب العربي وهو الموضوع الذي نلت به دكتوراه السلك الثالث من جامعة الجزائر¹

تعريف المؤلف (كتاب القصة الجزائرية المعاصرة)

- المؤلف: عبد الملك مرتاض
- الكتاب: القصة الجزائرية المعاصرة
- الحجم: متوسط
- الفصول: ينقسم الكتاب الى ثلاثة اقسام يتخللها ملحق وسبعة فصول
- الصفحات: 241 صفحة
- دار النشر: المؤسسة الوطنية للكتاب، رقم النشر: 85/.../1985...
الجزائر.. 1990..
- طبع: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغبة².

¹ عبد الملك مرتاض. فنون النشر الادبي في الجزائري. (1931..1954). ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر 1983 ص4

² ينظر، عبد الملك مرتاض، القصة الجزائرية المعاصرة، رقم النشر... المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1990 صفحہ

الوصف الخارجي للكتاب

الغلاف: "تتكون صفحة الغلاف من وحدتين وحدة أمامية تحمل القدر الأكبر من وظائف الغلاف ووحدة خلفية لها دورها الذي لا يقل دور الوحدة الأمامية، وهما يتكونان من عناصر الجرافيك واسطة العقد فيها العنوان وبجواره الصورة بألوانها والمؤشرة التجنيسين ووضع اسم الكاتب وأيقون دار النشر وكلمة الناشر التي تشغل جزءا من الوحدة الخلفية للغلاف فهو عتبة تحمل مجموعة عتبات وقد اهتم الناشر والكتاب المعاصرون بتصميم أغلفتهم ليس فقط لتكون فعالة وقادرة على جذب الانتباه، بل لتساعد على فك شفرات النص واكتشاف علاقات النص بغيره من النصوص"،¹ فلا بد لأي كتاب من وجود غلاف وذلك يعود للمعلومات القيمة التي يحملها حول صاحب الكتاب، عنوان الكتاب، دار النشر...

اللون: "يحتوي كتاب القصة الجزائرية المعاصرة على ثلاثة ألوان الأبيض الأزرق والأسود، ولها عدة دلالات ومعاني. فنجد "اللون الأبيض رمز الصفاء والعفة والنظافة والطهارة والوضوح قال عنه لوكريي انه الوضوح هو النزاهة ضعه الى جانب ألوان أو أشياء غير نظيفة سواء سنكتشف سريعا أنه عين الحقيقة، ولهذا فقد دخل الأبيض ميدان الأدب من باب العريض كما صاغت منه الدراما فإنه يحاكي المشاعر كما أن الأدب الشعبي اهتم به فجعله رمزا للحسن والجمال"² وهذا اللون يسود كل صفحة هذا الكتاب.

¹ المرجع نفسه، ص 293

² كلود عبيد. الألوان (دورها. تصنيفها. مصادرها. رمزيها. ودلالاتها). مر: محمد حمود. ص

اما اللون الازرق "حينما يختار الازرق في الموقع الاول فانه توجد حاجه اما الى هدوء عاطفي وامان وانسجام واستكفاء أو حاجة فيزيولوجيه للراحة والاسترخاء وفرصة للمعافاة ومن يختار الازرق يحب الهدوء وينشد البيئة المرتبة الخالية من الاضطراب والافساد تتحرك فيها الأمور بعفوية ونعومة في اتجاهاتها المعتادة وتظللها العلاقات الطيبة

بالآخرين¹"

من خلال هذا الكتاب، نلاحظ أن اللون الأزرق الفاتح يقسم الكتاب إلى جزئين، المساحة الصغيرة منه تتضمن اسم المؤلف عبد الملك مرتاض المساحة الكبيرة تتضمن عنوان الكتاب القصة الجزائرية المعاصرة.

أما اللون الأسود" لون أنيق وفخم يمتاز بالرقى ويمتص اللون الاسود الضوء ويذكر بقسوة ولذلك، حيث يضيفي جوا من الكآبة، ولكنه يساعد على إبراز الألوان الأخرى، إذا استخدم بلمسات بسيطة وهو لون الحزن أيضا.. " ²نلاحظه من خلال الخط الذي كتبت به مفردات هذا الكتاب.

العنوان: "العنوان للكتاب كالاسم للشيء، به يعرف وبفضله يتداول يشار به إليه ويدل به عليه، ويحمل اسم كتابه وفي الوقت نفسه يسمه العنوان -بإيجاز يناسب البداية- علامة ليست من الكتاب جعلت له لكي تدل عليه، وهذا تعريف الأولي له لا يختلف في اللغة العامة عنه في اللغة المعرفية المسماة

¹ د. احمد مختار عمر. اللغة واللون. ص 190

² المحيسي، محمد عثمان علي، الالوان ودلالاتها النفسية والاجتماعية، المجلة العلمية لكلية التربية. ع 18..2015... دار

المنظومة. جامعة الوادي الجديد-كلية التربية ص 366

اصطلاحية، ودونما فارق واحد بينهما، والعنوان ضرورة كتابية، هكذا لغويا وهكذا اصطلاحيا كذلك".¹

"يعد العنوان مفتاحا لولوج النص الأدبي وكشف أغواره ومجاهله ودلالته العميقة، فهو نص مختصر يلخص كل الوقائع والأحداث والقضايا ويختزلها في كلمة أو في جملة قد تطول أو تقصر، وكلما كان العنوان مختصرا اتسعت دلالاته وقويت طاقته الإشعاعية وامتد فضاءه الإيحائي وانفتحت آفاقه الرمزية، لاعتماده على التكثيف والمجاز والرمز والمطلق الدلالي"²

وعنوان الكتاب الذي نحن بصدد دراسته هو " القصة الجزائرية المعاصرة " حيث جاءت (القصة) مبتدأ. (الجزائرية): خبر. (المعاصرة): نعت

«من البديهي أن القصة الجزائرية أخذت قوتها وصلابتها من أحداث حرب التحرير التي استمرت تمد ظلالها على كل الكتابات القصصية "حتى أنك لا تقرأ مجموعة قصصية إلا وقد أفردت بعض قصصها لحرب التحرير مباشرة أو ربط فيها الواقع الجديد للقصة وواقع حرب التحرير بخيط رهيف".³

¹ محمد فكري الجزار، العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي، الهيئة المصرية العامة، 1998 ص15

² فطيمة الزهرة بايزيد، التشكيل الجمالي لصورة الغلاف والعنوان (دراسة سيميائية)، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة محمد خيضر بسكرة، ص 140

³ أحمد بوعافية، القصة الجزائرية المعاصرة بين النشأة والتطور، مج: آفاق علمية، مج: 4. ع. 3. 2022 جامعة تلمسان الجزائر ص 423

ويعد عبد الملك مرتاض من الادباء الملتزمين بقضايا وطنهم، فقد كرس قلمه لنصرة القضية الجزائرية "فالدافع الاول المؤدي الى الكتابة يتمثل اساسا في الدفاع عن قيمة انسانية ما، وتوصيل وجهة نظره، وتحديد موقف معين من الحياة. وهذا الموقف يجعل الاديب من اصحاب الرؤى التي تطمح لتغيير ماهو واقع وتجاوزة، مع اتصالها بالواقع وتحري الصدق الفني في تصويره" *

وهذا ما يتجلى في مؤلفاته وعلى سبيل المثال نجد (كتاب القصة الجزائرية المعاصرة) الذي عالج قضايا عايشها المواطن الجزائري.

ومن أجل فهم العنوان سنقوم بتجزئته الى مفرداته، حيث نجد :

القصة: هي فن أدبي نثري، تعبر عن "مجموعة من الأحداث يرويها الكاتب.. تتناول حادثة أو عدة حوادث تتعلق بشخصيات إنسانية مختلفة، تتباين أساليب عيشها وتصرفها في الحياة. ومهمة القاص تنحصر في نقل القارئ إلى حياة القصة، بحيث يتيح له الاندماج التام في حوادثها" * كما أنها تولد مشاعر وعواطف مختلفة لدى المتلقي بحسب مجريات الاحداث، مما يزيد من رغبته وتشويقه لتكتملتها سواء بقراءتها وأحيانا تكون النهاية مفتوحة فيؤولها حسب وجهة نظره وفهمه لهذه القصة.

الجزائرية: تدل اللفظة على مكان يدعى "الجزائر" فقد خصص الكاتب الفئة التي سيتحدث

عنها في هذا الكتاب الا وهي (الجزائريين) ومختلف المواضيع

* حسين على محمد، دراسات نقدية في أدبنا المعاصر، دار الوفاء، الاسكندرية، ص136

* محمد يوسف نجم، فن القصة، دار بيروت، 1955، ص7

التي تهم هذا المجتمع. «يعرف ابو القاسم سعد الله الانتاج الادبي الجزائري بقوله "بأنه الانتاج النثري والشعري والفني الذي كتبه الجزائريون وبلغتهم القومية.. " ¹ وهذا يعني ان لفظة "الجزائرية" تعود على المكان وعلى هوية المؤلف الذي كتب نصا ما وعلى الموضوع الذي درسته

المعاصرة: "ونحن في أدبنا الجاري، عندما نشير الى العصر مجردا من نسبة تخصصه، فغالبا ما نكون نعني "العصر الحديث" وعندما نقول روح العصر، انما نقصد الاشارة الى السمة الغالبة على اوضاع المرحلة التاريخية التي نحيها، كما ان ما نعيشه من اوضاع الحاضر نصفه بالمعاصرة. وعندما يصف أحدنا الاخر بأنه «عصري»، انما يعني الاخبار بأن الموصوف متلائم مع أوضاع المرحلة التاريخية العالمية الحاضرة ومتجانس مع ظروفها ² "

¹ شريط احمد شريط. مباحث في الادب الجزائري المعاصر. منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين. ط 2001 ص 252

² المستشار طارق البشري. ماهية المعاصرة. دار الشروق. ط.1. القاهرة 1996. ص 49

محتوى الكتاب :

تضمن كتاب القصة الجزائرية المعاصرة لعبد الملك مرتاض عدة مواضيع وهي كالتالي :

(أ) نجد في القسم الاول :

المضمون الاجتماعي:

- محور الهجرة
- محور الارض
- محور السكن

المضمون الوطني:

- الاشعة السبعة
- عودة الام
- عندما تكون الحرية في خطر
- البيت الصغير
- اجازة بين الثوار

(ب) نجد في القسم الثاني :

الشخصية في القصة الجزائرية :

- سلوك الشخصية في قصة هلال لمنور
- سلوك الشخصية في الاضواء والفتران لمصطفى الفاسي

- سلوك الشخصية في اجازة بين الثوار لعثمان سعدي
- سلوك الشخصية في الرجل المزرعة لابن هدوقة
- سلوك الشخصية في تحت السقف للسائح¹

خصائص الحيز في القصة الجزائرية المعاصرة :

- خصائص الحيز في الاضواء والفئران للفاسي
- خصائص الحيز في هلال لمنور
- خصائص الحيز في الرجل المزرعة لابن هدوقة
- خصائص الحيز في تحت السقف للسائح
- خصائص الحيز في اجازة بين الثوار لعثمان سعدي

ملحق: يمثل أشكال حركة الحيز في القصص الخمس المدروسة

نجد في القسم الثالث :

- المعجم الفني لدى السائح
- المعجم الفني لدى ابن هدوقة
- قضايا فنية مشتركة (في القصة الجزائرية المعاصرة)*

¹ عبد الملك مرتاض، القصة الجزائرية المعاصرة، رقم النشر 85 على 1985 المؤسسه الوطنيه للكتاب الجزائر 1990 صفحه

بعض مصادر ومراجع الكتاب:

إن المصادر والمراجع «تفيد الباحث في تدعيم فكرته عن موضوع بحثه وأهميته طالما تناول الباحثون قبله هذه المشكلة من زوايا أخرى " كما "تكسب الباحث مهارة فنية في البحث العلمي وكيفية الاستقصاء "»* منه نذكر أهم المصادر والمراجع التي اعتمدها عبد الملك مرتاض في كتابه القصة الجزائرية المعاصرة :

- عبد الله الركيبين (الصداع)

- الحبيب السائح (القرار)

* ينظر، عبد الملك مرتاض، القصة الجزائرية المعاصرة، ص

* محمد منير حجاب، الأسس العلمية لكتابة الرسائل الجامعية، دار الفجر، ط.. القاهرة،.. ص 52

- الفاسي (الاضواء والفئران)

- الجاحظ (الحيوان)

- ابن هدوكة (الكاتب وقصص أخرى)

- عثمان سعدي (تحت الجسر المعلق)*

3) أسباب اختياره لهذا الكتاب:

يقول عبد الملك مرتاض " لماذا هذه الدراسة حول القصة بالذات، فلأننا نراها قيمة بأن تكون، وخليفة بالظهور، بعد ان عبرت القصة القصيرة الجزائرية المعاصرة مسافة شاسعة من مرحلتها الطويلة الشاقة. فلقد نحسب هذه القصة من أرقى ماكتب في هذا الجنس على امتداد الوطن... فإننا نميل الى

أن جنس القصة غدا في الجزائرنا أدبيا له أساطين وإعلام. والتجربة في مضطرب هذا الجنس بعضها رائد، وبعضها رائع، وبعضها وسط، وبعضها رديء"*

كتب في الجهة الخلفية لكتاب القصة الجزائرية المعاصرة:

عدة تساؤلات من قبل عبد الملك مرتاض :

"ما شأن القصة الجزائرية المعاصرة؟ متى نشأت؟ وكيف تطورت؟ وما التيارات التي سلكتها؟ وما الأيديولوجيات التي اعتنقتها؟ وأي المضامين كان أكثر منها استبدادا؟ وأي الأشكال الفنية اتخذت لها رداء؟ ثم ما خصائص شخصياتها وما ملامحها؟ وبم تتميز معاجمها الفنية؟ وكيف تتعامل مع الزمن الأدبي؟ وإلى أي مدى امتدت فضائاتها؟ وما التقنيات السردية التي استأثرت بها.....؟ إن هذه الجملة من أسئلة كثيرة يحاول هذا البحث أن يجيب عنها من خلال دراسة سبعين قصة جزائرية معاصرة بمنهج حاول الباحث جهده أن يكون جديدا في أدواته وذلك طمعا في أن يضيف إلى المكتبة النقدية الجزائرية بعض ماهي مفتقرة إليه"*

يمكن اعتبار هذه الأسئلة بمثابة حوصلة لما جاء في هذا الكتاب

4) نبذة عن الكتاب :

يعد كتاب "القصة الجزائرية المعاصرة" من أبرز الدراسات النقدية التي تناولت تطور فن القصة في الأدب الجزائري، وقد قدمه الدكتور عبد الملك مرتاض كعمل جاد يحلل فيه نشأة هذا الجنس الأدبي وتطوره عبر الزمن، متتبعا مراحلها المختلفة منذ بدايته الأولى حتى العصر الحديث.

يركز عبد الملك مرتاض على العوامل السياسية والاجتماعية والتاريخية التي أثرت في مسار القصة الجزائرية خاصة الحقبة الاستعمارية وما تبعها من كفاح ونضال، ثم مرحلة الاستقلال وما صاحبها من تحولات فكرية وثقافية. كما يناقش القضايا التي تناولها كتاب القصة مثل المقاومة، الهوية، التحرر، والواقع الاجتماعي، ويبرز الأساليب الفنية التي استخدموها مثل الواقعية، الرمزية، والسرد الحديث كما يعرض الكتاب نماذج من أعمال كتاب جزائريين معاصرين، محللا أساليبهم وتقنياتهم، ومبرزاً كيفية تعاملهم مع اللغة والرمز والشخصية والبناء الفني، في سبيل التعبير عن قضايا الوطن والانسان .

تكمُن أهميته في أنه يشكل مرجعا نقديا مهما للباحثين في الأدب الجزائري والعربي. يوثق تاريخ تطور القصة الجزائرية ضمن السياقين السياسي والثقافي. يفتح المجال لفهم دور الأدب في مقاومة

الاستعمار

وتشكيل الوعي الوطني..

الفصل الأول

مفهوم الحيز في الدراسات النقدية

المبحث الأول: التعريف اللغوي

في هذا المبحث، سأسلط الضوء بإيجاز على المفاهيم الثلاثة: المكان، الفضاء، والحيز، مستعرضاً معناها كما وردت في اللغة العربية الأصيلة، وفقاً لما جاء في التراث اللغوي العربي القديم، وبخاصة في المعجم الشهير الذي وضعه ابن منظور، معجم لسان العرب.

أ/المكان :

"المكان والمكانة... مكان في أصل تقدير الفعل مفعول، لأنه موضع لكيثونة الشيء فيه، غير أنه لما كثر أجروه في التصريف مجرى فعال... والمكان الموضع، والجمع أمكنة كقذال وأقذلة، وأماكن جمع الجمع... العرب تقول: كن مكانك، وقم مكانك، واقعد مقعدك، فقد دل هذا على أنه مصدر من كان أو موضع منه"¹

تستخدم كلمة المكان للدلالة على معانٍ متقاربة، كلها تشير إلى الموضع أو المنزلة ويتضح هذا المعنى من خلال هذا المعجم، حيث يظهر ارتباطها بمفهوم الموقع والثبات.

¹ الإمام العلامة جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري الإفريقي المصري، مج 7، تح: عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، مادة (مكن)، ص 995

ب/الفضاء :

"فضاء، يفضوا فضوا فاض، وقد فضا المكان، وأفضى إذا اتسع، وأفضى فلان أي وصل إليه، وأصله أنه صار في فرجته وفضائه وحيزه، والفضاء: الساحة وما استوى من الأرض واتسع وجمعه أفضية. والفضاء المكان الواسع من الأرض ونقول مكان مفض، أي واسع ونقول الفضى أي المتسع"¹

يشير مصطلح الفضاء في أغلب معانيه إلى الامتداد الواسع والانفتاح،² حيث يفهم على أنه موضع خال من العوائق، يتسم بالسعة والانفساح. وهذا المعنى شائع ومتفق عليه في الاستخدامات اللغوية المختلفة بما ذلك معجم لسان العرب.

ج/الحيز :

"حيز: الحوز و الحيز: السير الرويد والسوق اللين، وحاز الإبل يحوزها ويحيزها: سارها في رفق، والتحيز: التلوي والتقلب. وتحيز الرجل: أراد القيام فأبطأ ذلك عليه، والواو فيهما أعلى."³

نرى في الحوز والحيز تشابها في الجذر، لكن كل منهما يحمل دلالة خاصة، الحوز فيه معنى السيطرة أو الجمع، أما الحيز فمرتبط بالتحرك بروية، أما التحيز فجمع بين الانثناء الجسدي أو التغير في الوضع، وبين التردد أو التباطؤ في الفعل.

¹ حيدر لطيف السعيد، فاعلية الحيز المركب في السرد العربي (متاهة حواء لبرهان شاوي نموذجاً)، سياقات اللغة والدراسات

البينية، مج 9، ع 4 أكتوبر 2024، جامعة الغيوم، ص 59

³ بن منظور، معجم لسان العرب، مادة حوز، ص 40

المبحث الثاني: مفهوم الحيز في الدراسات النقدية الغربية:

لقد فتح مصطلح الفضاء باب النقاش أمام النقاد باعتباره مصطلحا حديث الظهور فأخذ كل ناقد يعرفه حسب رؤيته الخاصة، حيث "كان مصطلح الفضاء في بداية ظهوره مصطلحا أدبيا غير واضح مفتقرا الى معرفة نظرية عميقه، إلا أن كتابات الألمان أمثال مايير وهنري ميتران أسهمت إلى درجة كبيرة في تقريب الأسس الجمالية لمصطلح الفضاء باعتباره مصطلحا نقديا قد يغني النقد خاصة مايتعلق منه بالأعمال السردية....أسهم الفرنسيون بقدر كبير في تطوير البحث في هذه المسألة خاصة جورج بولي وجليير دوران ورولان بورنوف، غاستون باشلار"¹

يرى بورنوف "أنه في الوقت الذي تعددت فيه المصنفات حول الزمن منذ العشرين سنة التي خلت، لا نجد مع ذلك في مجموعها دراسات تعنى بالمفهوم الذي له علاقة لصيقة به، ألا وهو الفضاء في الأدب السردى"²

يعد الفضاء في العمل السردى عنصرا بنيويا يتجاوز كونه مجرد خلفية مكانية للأحداث، ليصبح مكونا فاعلا في تشكيل دلالات النص وتوجيه التأويل. فالفضاء بما يحمله من رمزية وعلاقات داخلية، يسهم في إبراز البنية الموضوعاتية للعمل. كما قد يكتسب وظيفة تشخيصية، يستدل من خلالها على

¹ فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط الجزائر 2010 ص 123 124

² خالد التواتي، مصطلح الفضاء: من الأصل اللغوي إلى الوضع الاصطلاحي في النقد العربي المعاصر، مج 3، مج أنساق،

ع.2.2019. جامعة قطر، ص 53

أبعاد الشخصيات النفسية والاجتماعية. إن التفاعل بين ملامح الفضاء ومجريات السرد لا يتم بشكل اعتباطي، بل يبنى وفق منطق دلالي يثري التجربة السردية ويعمق أفق القراءة¹

اهتم اندريه لالاند أيضا بمفهوم الفضاء حيث عرفه بأنه "وسط مثالي متميز بظاهرية أجزائه، تتمركز فيه مداركنا² percepts

ثم "شعر الفرنسيون بأن مصطلح الموقع لا يفي بالغرض في التعبير عن الأبعاد المتعددة للمكان في السرد، فاتجهوا إلى استخدام كلمة الفراغ لما تحمله من دلالات أوسع، في المقابل لم يرض النقاد الإنجليز عن التداخل المفهومي بين المكان والفراغ، فاقترحوا استخدام مصطلح البقعة للدلالة على الموضوع الدقيق الذي تقع فيه الأحداث تميزا له عن المعاني الأوسع للمكان³

اما غاستون باشلار نجده " ينظر إلى المكان، من منظور إنساني وشاعري، بوصفه الحيز الأليف الذي يرتبط بجذور الذاكرة الأولى، ذلك البيت الذي شهد بداياتنا، واحتضن طفولتنا، وشكل ملامح خيالنا، انه الفضاء الذي احتوينا فيه أحلام اليقظة، وتكون فيه وعينا الحالم وفي الادب، تتجلى المكانية كصورة فنية تستحضر هذا العالم الاول وتوقظ فينا صدى الذكريات المرتبطة بمكان الطفولة ومشاعر الانتماء الدافئة.⁴

¹ ينظر، جيرالد برنس، قاموس السرديات، تر السيد إمام، ميريت للنشر، شارع قصر النيل، القاهرة، ط.1.. ص182
² أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، مج.1.. AG. تعريب خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، باريس ط..2. ص362

* غاستون باشلار، جماليات المكان، تر غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط.2. بيروت لبنان،... 1984. ص6
* غاستون باشلار، جماليات المكان، ص9

كما أن " البيت القديم، بيت الطفولة، يمثل فضاء الألفة والسكينة وهو النقطة التي يتشكل فيها الخيال وينمو، مع الابتعاد عنه، يبقى حاضرا في الذاكرة. نستحضره باستمرار ونسقط مشاعر الأمان والحماية التي منحنا إياها على العديد من مظاهر العالم المادي من حولنا.

تتجاوز **جوليا كريستيفا** المفهوم التقليدي للفضاء في دراستها، فتتأمل إليه بوصفه تصورا شاملا للعالم. وتبرز كيف أن هذا الفضاء يتشكل من خلال شبكة معقدة من التناقضات التي تتقاطع داخل النص الواحد وعبر الأزمنة المختلفة. وقد أطلقت على هذه البنية المتشابكة اسم (ايدولوجيم العصر) وهو ما يعبر عن الروح الثقافية السائدة في مرحلة تاريخية معينة، ومن هذا المنطلق، فإن دراسة الفضاء الروائي لا تكتمل إلا من خلال النظر في علاقاته التناصية، بما يكشف عن امتداداته الفكرية والثقافية والثقافية¹

اختار **ميشال بوتور** أن يتناول فضاء النص من زاوية مغايرة مشيرا الى أن القصة أو المقال أو أي شكل من أشكال الخطاب، يقرأ عادة من بدايته إلى نهايته وفقا نظام محدد، ففي الثقافات الغربية، تكتب النصوص على محور أفقي من اليسار إلى اليمين، لكنه يؤكد أن هذا النظام ليس إلا اتفاقا تقليديا إذ أن حضارات أخرى اعتمدت أنماطا مغايرة للكتابة ما يدل على ان شكل الفضاء النصي مرتبط بثقافة المجتمع وتاريخه²

جرار جينيت، باعتباره ناقدا بنيويا، يؤمن بأن الفضاء في النص الروائي ليس مجرد خلفية أو ديكور تجري فيه الأحداث بل هو عنصر أساسي مترابط مع جميع مكونات السرد، حين يقول إن " لا شيء

¹ سيزاقاسم، بناء الرواية (دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ)، مهرجان القراءة للجميع، 2004. إشراف عفاف السيد، ص 106

² ينظر، إيمان محمد عبد المعطي أبو سمرة، الفضاء الروائي في رحلة ابن فطومة لنجيب محفوظ دراسة سيميائية، دكتوراه في

في السرد مستقل عن البنية المكانية ". فهو يشير إلى أن كل تفصيلا في الرواية-سواء كانت الشخصيات أو الزمن أو الأحداث أو حتى اللغة المستخدمة-ترتبط بطريقة ما بالفضاء الذي تتحرك فيه... عند جينيت، الفضاء ليس محايدا، بل هو جزء من المعنى الكلي للنص، ويجب تحليله ضمن شبكة العلاقات التي تربط أجزاء السرد ببعضها.¹

أوستن وارين لا يتعامل مع المكان في النصوص الأدبية كمجرد مساحة تجري فيها الأحداث، بل يمنحه بعدا نفسيا وشخصيا. ولهذا يستخدم مصطلحي (الإطار) و(البيئة) بدلا من (المكان) أو (الفضاء). ليؤكد أن هذه العناصر ليست محايدة بل تعبر عن الشخصيات وسلوكها الداخلي بطريقة غير مباشرة. الإطار يشير إلى المحيط العام الذي توجد فيه الشخصيات مثل: المدينة، القرية أو طبيعة العصر أما البيئة وخاصة البيئة المنزلية (البيت والغرفة) فهي أكثر حميمية وترتبط مباشرة. بالشخصية، هو يذهب الى أن البيت ليس مجرد مكان للسكن، بل انعكاسي نفسي لصاحبه، إذن، البيئة المنزلية في الأدب تستخدم بشكل رمزي لتكشف عن الأعماق النفسية للشخصيات دون الحاجة إلى قول ذلك مباشرة، وهذا ما يقصده أوستن وارين حين يقول (إذا وصفت البيت، فقد

وصفت الانسان)*

لوتمان إلى المكان على أنه ليس فقط خلفية للأحداث، بل هو أيضا عامل يوجه العلاقات بين الشخصيات والنظم الاجتماعية، ومن خلال اللغة، يمنح الإنسان المعاني المكانية طابعا ذهنيا، ويسقط عليها قيما ودلالات متنوعة، مثل التفاوت بين (الأعلى والأسفل)، أو (القرب والبعد)، أو (الانفتاح

¹ ينظر، بلسم محمد الشيباني، الفضاء وبنيتة في النص النقدي والروائي رباعية الخسوف لإبراهيم الكوني نموذجاً، ص 19

والانغلاق)،(والمحدود واللا نهائي)، كلها تحمل في طياتها إشارات إلى مفاهيم مثل الخير، والألفة ،
والمعرفة، والفناء¹

ظهر مفهوم الفضاء عند العرب نظرا للتأثر بأفكار الغرب فكانت الترجمة إحدى الوسائل لذلك
وقد واجه النقاد مشكلة وصعوبة في وضع تعريف موحد للفضاء فكل ناقد يترجمه حسب ميوله "فإن
هذه الترجمات المتعددة والمتباينة تساهم من دون ريب في تصعيد أزمة الاصطلاح التي يعاني منها النقد
العربي الحديث، إذ لا مسوغ لاجترار ترجمات عديدة لمصطلح غربي واحد، في الوقت الذي يدعو فيه
كل أولئك المجترحون إلى ضرورة حل أزمة المصطلح في نقدنا العربي، وذلك عن طريق المناقشة الشاملة
والاتفاق من دون أية مباحكة وتحذلق يحلو لبعض النقاد ممارستها"

وفي رأي الناقد شريط أحمد شريط " يعد الباحث المغربي الأستاذ الدكتور سعيد علوش - في
رأينا-اول من أدخل المصطلح(الفضاء) إلى المعجم الأدبي العربي الحديث، وذلك حسب دلالاته الجديدة
وكما أشيعت في الدراسات الأدبية الغربية المعاصرة اداء التعاريف هذا المصطلح في معجمه: معجم
المصطلحات الأدبية المعاصرة"²

... يستخدم مصطلح الفضاء في السيميائيات باعتباره كيانا كاملا يتكون من عناصر متفرقة
لكنها مترابطة من خلال طريقة توزيعها وانتشارها ولهذا السبب يتم تناول الفضاء من زوايا متعددة منها
البعد الجغرافي والنفسي الفيزيولوجي أو الاجتماعي الثقافي كما يفترض في دراسة الفضاء السيميائي أن

¹ حنان مقلاني، أبعاد المكان ودلالاته في رواية البيت الأندلسي لواسيني الأعرج دراسة سيميائية، ورده حلاسي، مذكرة ماستر،

قسم اللغة والأدب العربي، جامعة.08. ماي.1945. ص24

² حسن ناظم، مفاهيم الشعرية دراسة مقارنة في الأصول والمنهج والمفاهيم، المركز الثقافي العربي، ط..1 بيروت،.1994..

ص.17.

تأخذ بعين الاعتبار جميع الحواس مع التركيز على دور الانسان سواء بوصفه من ينتج هذا الفضاء أو من يستهلكه ويتفاعل معه¹

توصل حسن بحراوي في دراسته إلى أن الفضاء يعد عنصرا شكليا مؤثرا في بناء الرواية لما له من دور كبير في احتضان المادة السردية وتنظيم مجريات الأحداث ودوافعها وتكون أهميتها أيضا في بنيته الخاصة والعلاقات التي ينشئها مع الشخصيات ومع الأزمنة المختلفة وكذلك مع الرؤى التي تتبناها الرواية²

ويعد الفضاء بالنسبة له "بمثابة بناء يتم إنشاؤه اعتمادا على المميزات والتحديدات التي تطبع الشخصيات بحيث يجري التحديد التدريجي ليس فقط لخطوط المكان الهندسية وإنما أيضا لصفاته الدلالية وذلك لكي يأتي منسجما مع التطور الحكائي العام"

ويردف قائلا "الفضاء هو شبكة من العلاقات التي تربط بين الأمكنة والبيئة المحيطة، والعناصر الزخرفية أو المشهدية التي تدور فيها الأحداث، إلى جانب الشخصيات التي يقتضيها تطور الحدث داخل ذلك الإطار"

" يرى حسن نجمي أن الفضاء الروائي لا يقتصر على كونه مجرد تقنية أو موضوعا، أو إطارا تدور فيه الأحداث، بل يتعدى ذلك ليشكل جوهر الكتابة الروائية وركيزتها الأساسية. بل والأساس الذي تقوم عليه كل كتابة أدبية"

¹ سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، ط.1. بيروت، لبنان، 1985. ص164

² حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، المركز الثقافي العربي، ط.1. بيروت، 1990. ص 20

"ويشير أيضا إلى أن مفهوم الفضاء espace يظل غير محدد بدقة، إذ يشمل في طبيعته العامة مختلف المواضيع، ويمتد ليعتويها جميعا ضمن إطاره الواسع" ¹

أما ياسين النصير فيقول "المكان عندي مفهوم واضح، يتلخص بأنه الكيان الاجتماعي الذي يحتوي على خلاصة التفاعل بين الإنسان ومجتمعه، ولذا فشأنه شأن أي إنتاج اجتماعي آخر يحتل جزءا من أخلاقية وأفكار ووعي ساكنيه" ²

و ينظر إلى المكان باعتباره (الجغرافيا الخلاقة) داخل العمل الفني فبعد أن كان يفهم سابقا على أنه مجرد إطار يحتضن الأحداث، أصبح يعد اليوم عنصرا مندمجا في الحدث ذاته، يتأثر به ويخضع لتطوراته بشكل كامل، ولم يعد يستخدم كغاية جمالية أو ديكورية بل أداة فنية تساهم في تشكيل المعنى ودفع السرد إلى الأمام. ³

يقول عبد الحميد بورايو "عند تناولنا لمفهوم المكان. سنميز بين نوعين من الحيز: الأول هو الحيز النصي، ويقصد به الشكل الذي تظهر به الرواية للقارئ داخل النص، بما في ذلك ترتيب أجزائها، عناونها، عناوين الفصول، ومحتوى المقدمة، أما النوع الثاني، فهو الحيز المكاني الذي يتضمن الأماكن المذكورة في الرواية، سواء كانت أماكن متخيلة من صنع الكاتب أو واقعية تستند إلى مرجع حقيقي وبالنسبة ل سيزا قاسم "المكان يمثل الخلفية التي تقع فيها أحداث الرواية أما الزمن فيمثل في هذه

² ياسين النصير، الرواية والمكان، 18

³ عبد الحميد بورايو، منطق السرد (دراسات في القصة الجزائرية الحديثة)، السهل، الجزائر. 2009. ص. 143.

الأحداث نفسها وتطورها. وإذا كان الزمن يمثل الخط الذي تسير عليه الأحداث فإن المكان يظهر على هذا الخط ويصاحبه ويحتويه فالمكان هو الإطار الذي تقع فيه الأحداث¹

زوز نصيرة تعتبر أن "الفضاء هو العالم الفسيح الذي تنتظم فيه الكائنات والأشياء والأفعال وبقدر ما يتفاعل الإنسان مع الزمن يتفاعل مع الفضاء، بل يمكننا القول إن تاريخ الإنسان هو تاريخ تفاعلاته مع الفضاء أساسا"²

يوضح حميد الحميداني أن الفضاء في الرواية أوسع من المكان. فالمكان جزء من الفضاء. لأن الرواية غالبا ما تحتوي على عدة أمان، بينما الفضاء يشملها كلها ويشكل العالم الذي تدور فيه الأحداث. ويقسم الفضاء في الرواية إلى أربعة أصناف:

- الفضاء الجغرافي: هو المكان الذي تتحرك فيه الشخصيات، مثل المدينة أو القرية، ويظهر من خلال السرد.

- فضاء النص: هو مكان الكلمات داخل صفحات الكتاب، أي الشكل المادي للنص كما نراه مطبوعا.

- الفضاء الدلالي هو المعنى العميق أو المجازي الذي تخلقه لغة الرواية مثل الشعور بالحزن أو الأمل خلال وصف المكان.

¹ سيزا قاسم. بناء الرواية (دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ). مهرجان القراءة للجميع. 2004. إشراف عفاف السيد. صفحه

² زوز نصيره. أشكاله الفضاء والمكان في الخطاب النقدي العربي المعاصر. مجله كليه الاداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية. العدد 6 في 2010 جامعه محمد خيضر-بسكرة. ص.3..

- الفضاء كمنظور: هو الطريقة التي يختارها الكاتب لعرض الأحداث والشخصيات، مثل مخرج

المسرح الذي يختار كيف يظهر المشهد للجمهور.¹

¹ حميد حميداني، بنية النص السردي (من منظور النقد الأدبي)، المركز الثقافي العربي. ط... بيروت. 1991 ص 63

المبحث الرابع: الحيز لدى عبد الملك مرتاض :

لقد ترجم عبد الملك مرتاض الكثير من المفاهيم المأخوذة عن القواميس الغربية من بينها espase والذي أطلق عليه مصطلح الحيز، والذي ترجم بعدة مسميات منها المكان والفضاء، المجال... إلا أن هذه المسميات لم تلقى القبول عند ناقدنا باعتبارها غير مكتملة الدلالة ولم تبلغ الفكرة التي ابتغاها الغربيون من هذا المصطلح " نظرا لاختلاف الرؤى وغموض المفاهيم، وغياب المصطلح المشترك بين الباحثين.¹ "

وقد "تميز بترجمة مصطلحات لم يحد عنها طوال مسيرته النقدية، نظير مصطلح الحيز الذي يكاد يمثل محور دراساته التي ألفها على امتداد خمس وثلاثين سنة (بدءا من تاريخ صدور كتاب " النص الأدبي من أين؟ إلى أين؟ " فناقدا مارس النقد الاجتماعي ذا الصبغة الايديولوجية قبل هذا التاريخ بكثير... وهو ما جعله ناقدا مخضرم يجمع بين حقبتين نقديتين، هما الكلاسيكية والحقبة المعاصرة).²

¹ عبد القادر شرشار تحليل الخطاب السردى وقضايا النص دار القدس العربي ط 1 وهران 2009 ص 89

² سيدي محمد بن مالك، السرد والمصطلح، دار ميم، ط 1 الجزائر 2015 ص 124

كما أنه يعد من "أكثر النقاد الجزائريين اهتماما بالمصطلح اللسانياتي يحاول التعامل معه بكل ما أوتي من ثروة لغوية هائلة تمتد قواعدها إلى التراث العربي القديم ببلاغته وموروثه الأدبي الزاخر، ويخوض في تفرعاته محكوما بالحدود العامة التي حددها البلاغيون والنقاد القدماء، أو كما هو في المعاجم اللسانية الغربية، كما نجده ينحت مصطلحاته باستمرار، بلغته التحفة ذات الأدبية الخارقة والخصوصية المتفردة، وقاموسه اللغوي الشري، فخصوصيته خصوصية الرجل المبدع المطلع على خبايا اللغة العربية وأسرارها"¹ وبخصوص المصطلح يقول "وربما يكون من الأمثل الحسم في هذه المسألة، ولو على نحو ما، أمام استحالة الاتفاق"²

وهذا ما أدى به إلى تفضيل الحيز عن بقية المفاهيم الأخرى، «عبد الملك مرتاض، كغيره من الباحثين الذين يسعون إلى بناء مشروع نقدي متماسك، أدرك أن كل مجال معرفي - سواء في الأدب، أو النقد أو أي حقل آخر - يحتاج إلى مجموعة مصطلحات دقيقة وواضحة تعبر عن مفاهيمه الخاصة. هذه المصطلحات تعتبر بمثابة أدوات تفكير، تمكن الباحثين من التواصل والفهم داخل الحقل الواحد. لكن عبد الملك مرتاض لاحظ أن كثيرا من الدراسات تعاني من فوضى مصطلحية، أي استخدام غير منظم للمفاهيم أو استعمال نفس المصطلح بمعان مختلفة، أو حتى استيراد مصطلحات دون وعي سياقي بها. ولتفادي هذا الخلل، قرر أن يصطنع لنفسه مجموعة من المصطلحات الخاصة التي تعبر بدقة عن

¹ مولاي علي بوخاتم، من الدرس السيميائي المغاربي، المطبوعات الجامعية 2005/9 الجزائر ص 121

² عبد الملك مرتاض، معجم الشعراء الجزائريين في القرن العشرين، دار هومة، صنف 224 / 4 الجزائر 2007 ص 6

أفكاره ومنهجه في التحليل السردى. هذا التفرد في اللغة الاصطلاحية جعله يتميز عن غيره من النقاد لكنه في الوقت نفسه قد يصعب أحيانا من عملية التلقي، لأن قراءه يحتاجون إلى فهم منظومته الاصطلاحية أولا كي يتابعوا أفكاره، ومع ذلك فإن هذا الاختيار يعكس وعيه بأهمية الدقة العلمية وبناء جهاز مفاهيمي متكامل في النقد الروائي.¹

يقول " لقد خالفنا جماعة النقاد العرب المعاصرون في أنهم يصطنعون مصطلح الفضاء وفي أننا نحن نصطنع مصطلح الحيز وهو في اللغة الفرنسية espace وفي الإنجليزية space. وفي الإسبانية² من أجل بعض ذلك عدلنا، نحن، في كتاباتنا النقدية الحديثة، عن استعمال الفضاء إلى الحيز لأنه، في رأينا، هو أكثر مرونة، وأشد قدرة على التعبير عن كل حركة تجري في أرض أو فراغ، وفي كل جسم ناتئ وفي كل ظل وارف، وفي كل مطر نازل (حبات الماء النازلة من نحو العلاء إلى نحو الأرض³ *".

.. "وللمكان، وللحيز بعامة، على الإنسان فضل الاحتواء، وشرف الاشتغال، فالحيز شامل والإنسان مشمول".

كما تطرق في تعريفه للفضاء مستدلا بعبارة "ومثل الفضاء الذي نريد به إلى كل ما هو مجرد فراغ أصلا، كما يدل عليه أصل وضعه اللغوي) والحق أن هذا المعنى يطلق أيضا على الحيز الجغرافي الحقيقي حيث إن تعريف الفضاء في بعض المعاجم العربية هو «المكان الواسع من الأرض» على حين أن اجتهدنا

¹ ينظر، ا نور الدين دريم، اليات اصطناع المصطلح عند عبد الملك مرتاض جامعه الشلف ص 129

² عبد الملك مرتاض السبع المعلقات، المقال 3 جمالية الحيز في المعلقات، ص 115

³ عبد الملك مرتاض، السبع المعلقات، ص 115

في أن ننفع في مصطلح الحيز معاني جديدة حيث إنما نريد به إلى كل الامتدادات، والأبعاد، والأحجام، والأثقال، وكل الأشكال المتشكلة على اختلافها¹

ويضيف قائلاً بأن الحيز "تصور ينطلق من تمثل شيء يتخذ مأتاه من مكان، وليس به، ثم يمضي في أعماق روحه، يفترض عوالم الحيز المتشجرة عن هذا الحيز الأصل الذي لا ينبغي أن تكون له أبداً، لأن الحيز يفضي إلى حيز آخر، فترى الصورة الفنية تتعمق بانشطارها إلى أشطار، وتجزئها إلى تركيبات وبمثل ذلك تستوفي الرؤية موقعها، فتنبؤ مكان مكاناً²"

كما يعتبر أن "الحيز في النص الشعري لا يقل ارتكاضاً وحركة وطفوحاً ومثولاً، عنه في النص السردي، فالسماء إذا أضحت، والحديقة إذا اخضرت. والغابة إذا تكاثفت والنهر إذا جرى.. والصحراء إذا شسعت.. والحقول إذا امتدت والروابي إذا ارتفعت.. كلها ينضوي ضمن مفهوم الحيز لدينا³."

"ويبدو الحيز الذي تتمثله عالماً بين الجغرافيا والمكان، فيكون طوراً أرقى وأوضح من المكان نفسه،

وطوراً آخر يتضاءل أمامه فلا يرقى إليه، ولكنه يحتفظ بصفته الحيزة التي تستميز بالزئبقية⁴"

كنتيجة لما تم التطرق إليه في الفصل الأول يمكن القول أن الباحثين الغربيين كانوا السباقين في تناول إشكالية تعدد المصطلحات المرتبطة بالمكان والفضاء حيث قدم كل ناقد تعريفاً خاصاً به، الأمر الذي زاد من تعقيد المسألة بدلاً من توحيد الرؤية حولها، وقد تنوعت المصطلحات المستخدمة مثل

²عبد الملك مرتاض، قضايا الشعرية، دار القدس العربي، ط.1. الجزائر. 2009... ص222

عبد الملك مرتاض، الامثال الشعبية الجزائرية، عاصمة الثقافة العربية، 4..2007.. ص 219²

³عبد الملك مرتاض، نظرية القراءة (تأسيس للنظرية العامة للقراءة الأدبية)، دار الغرب، ص221

⁴عبد الملك مرتاض، السرد والسردانية، دار القدس العربي، دط، وهران. 2021. ص327

(الفضاء، والمكان والحيز)، مما ساهم في تعميق الإرباك المفاهيمي، وتعد دراسات غاستون باشلار منطلقاً أساسياً لظهور مصطلح الفضاء في هذا السياق، أما بالنسبة للعرب فقد تلقوا هذا المفهوم عبر الترجمة وواجهوا هم أيضاً الإرباك نفسه في المصطلحات حيث لم يتمكنوا من تجاوز إشكالية التعدد والاختلاف في المعاني.

كما يتضح من خلال تأمل آراء النقاد أن الفضاء في العمل السردي ليس مجرد خلفية للأحداث، بل عنصر فعال يكشف عن أبعاد متعددة للنص والشخصيات. فالبعض يرى فيه امتداد للذات. كما في صورة البيت الذي يعكس ملامح الإنسان وداخله النفسي، في حين يراه آخرون شبكة معقدة من المعاني والدلالات تتداخل فيها الأزمنة والثقافات وهناك من يؤكد على دوره في تنظيم النص شكلياً وتوجيه القراءة، باعتباره مرتبطاً بطريقة عرض الأحداث وترتيبها، في المجمل، يتفق هؤلاء النقاد على أن الفضاء عنصر محوري في السرد، يحمل أبعاداً نفسية وثقافية، تسهم في بناء المعنى وتوجيه التأويل.

الفصل الثاني

الحيز من منظور عبد الملك مرتاض في كتاب القصة الجزائرية
المعاصرة

المبحث الأول: الحيز في كتاب القصة الجزائرية المعاصرة :

عند دراستي للحيز في كتاب القصة الجزائرية المعاصرة لعبد الملك مرتاض، رجعت إلى ما طرحه في مؤلفه (في نظرية الرواية) فوجدت أنه تناول هذا العنصر من زاويتين رئيسيتين: الأولى ترتبط بالحيز المكاني من حيث امتداده الجغرافي، والثانية تتصل بالإطار العام أو السياقي الذي يضيف على المكان أبعاداً رمزية ودلالية.

مفهوم المظهر الجغرافي:

ينطبق مع مفهوم المكان " هو حيز ذو أبعاد يمكن قياسها وفقاً لمقاييس أو أحجام محددة، ويتكون من عناصر مادية ملموسة فعلى سبيل المثال، لا تقتصر العمارة على مادتها البنائية فقط، بل تشمل أيضاً شبكة من العلاقات الهندسية المنظمة. كما أن المكان يتجاوز طبيعته الفيزيائية ليحكي علاقات إنسانية واجتماعية تنشأ داخله. مما يمنحه أبعاداً تتعدى شكله المادي"¹

ونجده عند عبد الملك مرتاض من خلال قوله " أن الحيز الأدبي الروائي ليس الجغرافيا إنه مظهر من مظاهر الجغرافيا إنه أكبر مساحة وأشسع بعداً فهو امتداد ارتفاع انخفاض انطلاق نحو المجهول"² كما "يمكن اعتبار المكان المجال الأساسي الذي يتحقق فيه الوجود.

الإنساني، وهو الشرط الأول لهذا الوجود. فمن خلال تواجده في المكان استطاع الإنسان أن يضيف عليه طابعاً عقلياً، لتبدأ بذلك الحياة الإنسانية الواعية والمنظمة. ولهذا السبب، أصبح المكان

¹ ينظر، حنان بومالي، جدل السياسي والجمالي في مسرح معين بسيسو الشعري، دار ابن الشاطئ، ط1 الجزائر 2016 ص

² عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد) عالم المعرفة الكويت 1998 صفح 123 124 125

عنصرًا لا غنى عنه في العمل الروائي، إذ يبنى عليه العالم الذي تتحرك فيه الشخصيات، وتتفاعل ضمنه وفق علاقات محددة ونظم اجتماعية متعددة، يكون للمكان في كثير من الأحيان الدور البارز في تشكيلها وتوجيهها¹

ينقسم المكان السردي إلى قسمين أساسيين، أحدهما يتمثل في أماكن مغلقة، وتعد هذه الأمكنة مواقع مركزية تدور فيها الأحداث وتتفاعل خلالها الشخصيات، فالحيز المغلق يتميز بحدوده الواضحة، وغالبا ما يمثل مكان إقامة الأبطال وتحركاتهم، مما يمنحه طابعا أكثر خصوصية، وتكمن أهميته في كونه يسهم في بناء العلاقة بين الشخصية

والمكان، حيث تعكس تصرفات الشخصيات داخله أبعادا نفسية واجتماعية تضيف على النص الروائي تماسكا وعمقا في البنية السردية.

يتمثل النوع الثاني في الأماكن المفتوحة، وهي فضاءات عامة متاحة للجميع، لا تقيد حركتها حدود واضحة أو ضيقة. تتسم هذه الأمكنة بالاتساع

والانفتاح، وغالبا ماتكون مشاهد طبيعية في الهواء الطلق، تعكس أجواء من الحرية والانطلاق. وترتبط دلالات هذه الفضاءات عادة بمشاعر إيجابية مثل السعادة، والطمأنينة، والتوازن النفسي، ما يجعلها فضاءات تنبض بالحياة، وتضيف على السرد طابعا مفعما بالحياة والانفتاح.²

¹ ينظر، مرشد احمد البنية والدلالة في رواية ابراهيم نصر الله مؤسسه العربية طبعه الاولى بيروت 2005 صفحه 127 128

² شمار ياسمينه، زيدو حياة، المكان ودلالته في رواية "الصخرة الأسيرة" لصديق بن طاهر فاروق، مذكرة ماستر، نقد حديث ومعاصر، قسم اللغة العربية، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2019، ص 18 24

الفصل الثاني : الحيز من منظور عبد الملك مرتاض في كتاب القصة الجزائرية المعاصرة

مار ياسمين، زيدو حياة، المكان ودلالته في رواية "الصخرة الأسيرة" لصديق بن طاهر فاروق، مذكرة ماستر، نقد حديث ومعاصر، قسم اللغة العربية، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2019، ص 24 18

وعليه إن البعد الجغرافي يكاد يتطابق مع مفهوم المكان حيث يعد الحيز الذي تدور فيه الأحداث وتتحرك ضمنه الشخصيات تؤدي أدوارها المتنوعة.

ثانيا: مفهوم المظهر الخلفي

نجد عبد الملك مرتاض (يطلق عليه "المظهر الغير مباشر " بحيث يمكن تمثيل الحيز بواسطة كثير من الأدوات اللغوية غير ذات الدلالة التقليدية على المكان مثل الجبل، الطريق، البيت، المدينة... وذلك بالتعبير عنها تعبيرا غير مباشر مثل سافر، خرج، أبحر، سمع المؤذن.. تحيل على عوالم لا حدود لها وهي كلها أحياز في معانيها.. فإن كل حيز سيولد حيزا آخر.. وهو ما يمكن أن نطلق عليه النشاط الحيزي)¹ وهو ما يشير إلى أن إدراك الكون ليس مباشرا، فالشيء لا يوجد في ذاته، بل مثواه الوعي الذي يدركه إنه لا يتسلل إلى الوعي إلا عبر أشكال رمزية مختلفة «فإنسان لا يعيش داخل كون مادي خالص، بل داخل عالم رمز، وتعد اللغة والأسطورة والفن والدين عناصر من هذا الكون، إن الأمر يتعلق بالخيوط التي تنسجها الرمزية»².

¹ عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، ص 123. 124.125

² سعيد بنكراد، السيميائيات والتأويل (مدخل لسيميائيات ش،س،بورس) المركز الثقافي العربي، ص 170

تعد اللغة منبعاً للفكر، بل يمكن القول إنها تمثله بذاته، إذ تقوم على أسس لغوية ومنطقية تستخدم في البحث عن دلالات تعبر عنها ألفاظ تحمل معاني. هذه الألفاظ تفكك الرموز الصوتية وتعيد صياغتها وفق السياق الذي نشأت فيه، سواء كان شعراً أو نصوصاً أدبية، فتتحول بذلك من مادة لغوية مرنة إلى نص سردي يحمل مضموناً وتوجهاً خاصاً¹.

و"لقد تضافرت رمزية الموقع لتمكن لرمزية الموضع، والايحاء الصوتي والدلالي لبعض الألفاظ.²"
"فالمكان... يحمل حقيقة أبعد من الحقيقة الملموسة، فهو يحمل دور الرمز، «وليس الرمز صورة فحسب، إنما هو تعدد المعاني نفسها» لذا نرى الكاتب لا يكتفي بتحليل الواقع، بل يخلق الرموز التي تشكل دلالات قادرة على إنتاج دلالات متجددة بتجدد الظروف³"

كما أن "إضمار الكاتب لأشياء وإفصاحه عن أخرى يدل على الحركة الذهنية في تكثيف مداليل الأنساق الترابطية التي تتمركز على كسر مظاهر تلك الحركة لتعكس في باطنها تشظيات نفسياً تأملية ذهنية إلى درجة التأزم الذي تعكسه نفسية الكاتب تجاه الأشياء والموجودات فيجسدها لنا روائياً.⁴"

¹ ناصر السيد النور، قراءات في النقد والرواية (مسارات النقد والرواية والترجمة والمسرح)، ط1، 2021.. ص74

² نسيم الغيث، الأدب العربي الحديث (مقاربات في النظرية والتطبيق)، دار جرير، ط.. الاردن، 2014.. ص43

³ محبة حاج معنوق، أثر الرواية الواقعية الغربية في الرواية العربية، دار الفكر اللبناني، ط1 لبنان، 1994.. ص227

⁴ صفاء الدين أحمد فاضل، السرد الجزائري (من أنطولوجيا المتن إلى ثقافة النسق) منشورات ألفا للوثائق، ط1، الجزائر، 2021..

تحليل كتاب القصة الجزائرية المعاصرة

في قصة الأضواء والفئران للفاسي، كما وردت في كتاب عبد الملك مرتاض، يظهر نوع الحيز بشكل واضح من خلال وصف معيشة شخصية المعلم، فقد وصفه الكاتب بأنه يعيش في كوخ "ندي، رطب، ضيق، مظلم منتن"، وهذا المكان يعكس أكثر من مجرد بيئة مادية. من جهة، ويعد هذا الحيز مكانا جغرافيا ضيقا يبين حالة الفقر والتهميش التي يعيشها المعلم ومن جهة أخرى، يعبر عن حالته النفسية التي تتسم بالضيق والانكسار. كما يمكن اعتبار هذا المكان رمزيا، لأنه يمثل صورة عن واقع المثقف المهمش في المجتمع¹

فوجد ثلاثة أنواع من الحيز وهي:

- الحيز الجغرافي: (المكاني) الكوخ بما فيه من صفات مادية (ندي رطب، ضيق..). يمثل المكان

المادي الذي تجري فيه الأحداث.

- الحيز غير المباشر: وصف المكان يحدث الحالة النفسية لشخصية المعلم (الضيق، القهر، البؤس)

وبالتالي يعبر عن مشاعره الداخلية. الكوخ يرمز لحالة التهميش التي يعيشها المعلم، وبالتالي يمثل

واقعا اجتماعيا أوسع (قهر المثقف، الفقر)

- تتميز القصة بتصوير الحيز الذي تعيش فيه الشخصية الرئيسية كحيز ضيق ومقيد، مما يعكس

الصراع الداخلي للشخصية. يتجلى هذا الضيق في وصف المكان "بالنهمج الضيق". مما يظهر كيف أن

¹ عبد الملك مرتاض، القصة الجزائرية المعاصرة، ص101

الشخصية تتخذ من هذا الحيز الضيق وسيلة للتعبير عن استيائها ورغبتها في الهروب إلى فضاء أوسع وأكثر إشراقا كما يستخدم وصف " الأنوار

المتألئة" للمكان البعيد كرمز لتطلعات الشخصيات نحو حياة أفضل حيث يظهر هذا التباين بين الحيز القريب المظلم والحيز البعيد المضيء رغبة الشخصية في التغير والتحرر من القيود الواقع، علاوة على ذلك، يعبر تداخل الغرف في المنزل، بحيث " تصير غرفة واحدة"، عن الضيق المادي والنفسي الذي تعيشه الشخصية، مما يظهر كيف أن الحيز المادي يؤثر بشكل مباشر على الحالة النفسية للشخصية للشخصية¹.

- الحيز الجغرافي: وهو المكان المادي الذي تعيش فيه الشخصية، مثل النهج الضيق، وتداخل الغرف.

- الحيز الغير مباشر: نجد الحالة النفسية للشخصية، مثل الضيق الاختناق الناتج عن المكان. نجد الرمز يستخدم للتعبير عن تطلعات الشخصية نحو حياة أفضل، كما في وصف الأنوار المتألئة للمكان البعيد.

في بعض مراحل القصة، يصور الحيز الذي تعيش فيه الشخصية الرئيسية كحيز أسطوري، حيث يتحول المكان العادي إلى فضاء يعكس خيال الشخصية وتطلعاتها. تتجلى هذه الرؤية من خلال تأمل شخصية الحلاق في "المنزل اللعبة" الذي يتحول في خيالها إلى حيز واسع، جميل الموقع، محاط بالأزهار المفتحة، وتتألأأ فيه الأنوار، وتدفعه أشعة الشمس وتداعب نوافذه الواسعة النسيم العليل. يظهر هذا

¹ عبد الملك مرتاض، القصة الجزائرية المعاصرة، ص 101

التحول كيف أن الحيز المادي يمكن أن يتحول في خيال الشخصية إلى فضاء يعبر عن رغباتها وهمومها، مما يبرز العلاقة بين الحيز النفسي والحيز المكاني في النص

الأدبي¹.

- نوع الحيز غير مباشر: في التعبير عن تطلعات الشخصية نحو حياة أفضل، كما في وصف

"المنزل اللعبة" الذي يتحول إلى فضاء واسع وجميل في خيال الشخصية. الحالة النفسية للشخصية مثل الراحة والسكينة التي تشعر بها الشخصية في هذا الفضاء الخيالي.

— يتجلى في النص تداخل بين الحيز المادي والحيز النفسي، حيث يتخذ الحيز شكلا متغيرا يتأثر بانفعالات الشخصيات، يلاحظ أن الحيز في القصة يتأرجح بين التضاؤل والتوسع، مما يعكس التباين في إدراك الشخصيات له. فمن جهة، يبدو الحيز ضيقا في نظر الحلاق، بينما يظهر واسعا في تصور المعلم هذا التفاوت في التصورات يبرز العلاقة الوثيقة بين الحيز النفسي والمادي، وكيفية تأثير الحالة النفسية على إدراك المكان علاوة على ذلك، يظهر النص كيف أن الحيز الكامن في النفس قد يكون صادقا في التعبير عن المشاعر الداخلية، لكنه يصبح مشوها أو كاذبا عند تمثيله في الواقع الخارجي، مما يسلط الضوء على التباين بين الواقع الداخلي والخارجي².

¹ عبد الملك مرتاض، القصة الجزائرية المعاصرة. ص 102

² عبد الملك مرتاض، القصة الجزائرية المعاصرة، ص 103

- نوع الحيز غير مباشر: يعبر عن الحالة النفسية الشخصية الشخصيات مثل التوتر والضييق أو

التوسع والراحة، وكيفية تأثير هذه الحالات على إدراكهم للمكان. و مادي حيث نجده يمثل

الواقع الخارجي، وكيفية تمثيل الشخصيات لهذا الواقع بناء على مشاعرهم الداخلية.

في القصة، يصور الحيز كفضاء يتغير وفقا للظروف النفسية للشخصية، مما يعكس التباين بين

الواقع المادي والانطباعات الذاتية. تظهر صورة المحفظة الكبيرة، المنتفخة، التي يحملها المعلم، كيف أن

الحيز المادي قد يبدو غير متناسب مع قدرة الشخصية على تحمله. حيث تميل المحفظة يمينا تارة ويسارا

تارة أخرى. مما يعكس الصراع الداخلي والتوتر النفسي. علاوة على ذلك، يبرز النص كيف أن الحيز

المادي قد يظهر متضخما أو متقلصا بناء على الحالة النفسية للشخصية، كما في حالة المحفظة والصورة،

حيث يكبر الحيز حيث يجب أن يصغر ويصغر حيث يجب أن يكبر، مما يظهر التباين بين الواقع المادي

والانطباعات الذاتية¹

- نوع الحيز غير مباشر: يعبر عن الحالة النفسية للشخصية مثل التوتر والضييق والتوسع والراحة

وكيفية تأثير هذه الحالات على إدراكهم للمكان. و يمثل الواقع الخارجي وكيفية تمثيل

الشخصيات لهذا الواقع بناء على مشاعرهم الداخلية.

يتحول الحيز في بعض مراحل " قصة الأضواء والفئران" إلى أشكال متعددة ومختلفة، يتجسد من

خلال التفاعل والحوار بين شخصية المعلم وتلاميذه. إذ يظهر هذا الحيز بألوان وأحجام وهيئات متنوعة

¹عبد الملك مرتاض، القصة الجزائرية المعاصرة. ص 104

تحيط بهذه الشخصيات فيبدو أحيانا كقصر، وأحيانا أخرى كمنزل عادي، أو كدار فخمة. وفي مشهد معين يختزل هذا الحيز، في نظر أحد التلاميذ الأثرياء إلى مجرد مأوى للكلاب.¹

- نوع الحيز متغير وذهني: حيث يتشكل حسب وجهة نظر الشخصيات وخيالها، ويتغير تبعاً لاختلاف التجارب والمواقف.

يتجلى الضجر كحالة ملازمة للشخصية، تدفعها بشكل دائم إلى السعي نحو فضاء أوسع يحقق لها شيئاً من الخلاص، ولو بطرق غير مشروعة لكن هذا السعي ينتهي بها إلى عاقبة غير متوقعة، إذ تجد نفسها في حيز مرفوض، وهو زنزانة السجن.

نوع الحيز متناقض، يبدأ كحيز ذهني نفسي يتوق إلى الانفراج والحرية، ويتحول إلى مادي واقعي ضيق (السجن)، يعكس نتيجة الفعل وخيبة الأمل.

في " قصة هلال " لمنور، يظهر أن حمل السقاء لدولين كبيرين يشكل عبئاً عليه بسبب ضعف بنيته واعتلال صحته، مما يصعب عليه إيصال الماء إلى السيدة. ويبرز هذا الموقف صراعاً داخلياً محتمداً داخل الحيز، يجمع بين التناقضات، السقاء الهزيل الذي يكافح، والسيدة القلقة التي تترقبه بانتظار، الحيز هنا يبدو غير متكافئ، إذ تضخم مساحته وثقله يتحولان إلى عامل من عوامل المعاناة، فالماء المتسرب من الدولين الكبيرين يغمر حذاءه، مما يزيد من مشقته، ولو كان الدولان أصغر، لخف عليه الحمل.

نوع الحيز مادي لأنه يتجلى في الفضاء المحيط بالسقاء وحركته بينه وبين السيدة. و رمزي لأنه يعكس معاناة اجتماعية وجسدية، ويجسد عدم التكافؤ بين الشخصيات والظروف.

¹ عبد الملك مرتاض، القصة الجزائرية المعاصرة. ص 104.

لو لم يكن حذاء السقاء واسعا وقديما، لكان حمل الدلوين أسهل عليه، فالماء لا يتوقف عن السقوط على سرواله وداخل حذائه الكبير، ما يزيد من معاناته. تبدو ملامح الحيز هنا قائمة، مشبعة بالتعب والبؤس والضعف، أما المرأة المستخدمة فإنها تنظر إلى السقاء من منظور مختلف تتخيله قادرا على خلق حيز أكثر رحابة، يسوده التوازن والقوة، وتراه يتحرك فيه بثبات واستقامة غير أن تجاهلها لحقيقة حالته وظروفه يجعل رؤيتها للحيز مجرد وهم، لا يمت للواقع بصلة.¹

- نوع الحيز هنا ذهنيا رمزي يتداخل فيه الواقعي مع المتخيل، فهو من جهة يعكس واقعا قاسيا مليئا بالمشقة، ومن جهة أخرى يعاد تشكيله في ذهن المرأة بطريقة مثالية بعيدة عن الحقيقة، مما يجعله حيزا متخيلا يخلو من الموضوعية.

في قصة هلال لمنور، يظهر الحيز الطويل كعنصر لا يرحم السقاء المسافات الممتدة على السير المتواصل، مما يعرضه للنصب والإرهاق الشديد، فالفضاء الواسع لم يخلق هنا إلا ليتوه فيه ذهابا وإيابا، حائرا يطوف الطرقات دون راحة، فلا يرى في المارة سوى أشباح قدرة، ولا في البيوت سوى هياكل مظلمة، وكأن العالم بأسره جحيم دائم. ويستمر في قطع الأراضي المحروثة والجبال الوعرة حتى تنزف قدماه من شدة العناء.²

- نوع الحيز هنا مادي جغرافي يتسم بالامتداد والاتساع، لكنه أيضا يحمل دلالة رمزية، إذ يجسد العذاب والتشرد والتهيه، ويعكس حالة نفسية مرهقة تعيشها الشخصية وسط عالم قاس ومجحف.

¹ عبد الملك مرتاض، القصة الجزائرية المعاصرة، ص 105.106

² عبد الملك مرتاض، القصة الجزائرية المعاصرة، ص 107 108

__ نجد أن الحيز الخالي، رغم فراغه، ينضم إلى كل من الحيز الواسع والضيق ليزيد من معاناة الشخصية ويثقل عليها بشدة. فحتى هذا الفراغ في حضوره وغيابه، يحمل في طياته مشقة وألماً. ويبلغ هذا التعب ذروته في معاناة السقاء التي تتجلى بوضوح طوال أحداث قصة هلال.*

- نوع الحيز رمزي ونفسي، إذ يعكس مشاعر السقاء الشقاء والفراغ الداخلي الذي تعيشه

الشخصية، وليس مجرد فضاء مادي، بل امتداد للمعاناة النفسية والوجودية للسقاء

__ بينما كنت أتمشى في أحد الأزقة الضيقة بمدينة قسنطينة، استوقفتني مشهد رجل ضئير يجلس بصمت في ركن من أركان الطريق، كان المكان يعكس ضيق العيش، وكان الفقر قد نسج خيوطه في كل زاوية، ففي هذا الحيز المحدود، يتجلى العوز بوضوح، حتى أن بيت السقاء، حين يخلو من الماء، يرحل عنه الأهل والأبناء والأبناء*.

- الحيز في هذا النص اجتماعي، حيث يتمثل في المكان الضيق الأزقة ويعكس حالة اجتماعية مرتبطة بالفقر والتهميش.

ينقسم الحيز في قصة الرجل المزرعة إلى ثلاثة أنواع رئيسية:

- الحيز المكاني الواقعي "المزرعة" يظهر من خلال معاناة الفلاح واستغلال المعمر ليونارد لجهده

وصحته، في سبيل تحقيق محصول زراعي أوفر وأجود، في هذا الجزء يجسد المكان واقعا قاسيا للاضطهاد والعمل الشاق .

- الحيز المكاني الغامض "المكان المجهول" يتجلى عندما تسأل الزوجة زوجها عن وجهته،

فيجيب: " إلى مكان بعيد من هنا، حيث لا يعرفنا أحد ". هذا المكان الغامض يشير إلى رغبة

في الهروب من الواقع والبحث عن الأمان أو بداية جديدة، لكنه يبقى غير محدد.

- الحيز الرمزي "حيز الصراع والتغير" يظهر من خلال التباين في مواقف وسلوك كل من الأب

وابنه تجاه المزرعة. فالأب يقرر الرحيل عنها رغم كل الظروف، ويصر على عدم العودة. " سنغادر

المزرعة بعد قليل، ولن نعود إليها ما دام بها ليونارد ". بينما الابن، الذي أقدم على طعن المعمر

ليونارد يتخذ قرارات متباينة تدل على تصاعد التوتر النفسي والاجتماعي. " قررت الذهاب في

طريق أخرى غير التي سلكها أبوي"، في النهاية يتحول الحيز إلى مصدر صراع بين الجيلين،

حيث يتجسد هذا الخلاف في المواقف والقرارات المصيرية التي تتعلق بالبقاء أو الرحيل¹

- هذا النص يتناول مفهوم الحيز من زاويتين مادية ومعنوية ويسقطه على واقع الاستعمار الفرنسي في

الجزائر، من خلال نقد عميق لتجربة الفلاح الجزائري في ظل الوجود الاستعماري. وهذا تحليل لما ورد

فيه:

- الثنائية بين الحيزين: الحيز الأول هو المزرعة واسعه من حيث المساحة، لكنها ضيقة ومؤلمة من

حيث المعنى لأنها تمثل مكانا للاضطهاد والاستعباد. الحيز الثاني هو المجهول، الخارج عن المزرعة

ضيق من حيث الإمكانيات أو المعرفة به، لكنه يحمل الأمل والتحرر، أي يحمل قيمة معنوية

ورمزية ورمزية*.

¹ عبد الملك مرتاض، القصة الجزائرية المعاصرة، ص 108.109.110

- إضافة العنصر الثالث "سلوك المعمر" يبرز المعمر ليونارد كرمز للاستعمار الذي لا يكتفي بامتلاك الأرض ماديا، بل يسعى لفرض سلطته المعنوية أيضا، فيرغم الفلاح وأسرتة على البقاء داخل حدود حيزه.
- فلسفة الحيز والهوية: النص يطرح الحيز كمفهوم يتجاوز الجغرافيا ليشمل الانتماء والهوية والفكر، والمزرعة رغم كونها في الوطن ليست وطنا، لأنها تحت هيمنة أجنبي. الشيخ الوطني يرفض هذا الامتلاك الاستعماري. ويكشفه بأنه اغتصاب باسم القوة وليس بحق مشروع.
- المفهوم الاستعماري للملكية: يفضح النص منطق المعمر، الذي يرى الأرض حقا له لأنه اشتراها، لكن ابتياعه هذا هو ابتياع القوي للضعيف، لا عقدا شرعيا بين متساويين.¹
- النص يستخدم الحيز كرمز للتصادم بين الاستعمار والهوية الوطنية إنه دفاع عن الأرض كفضاء معنوي وثقافي لا يختزل في البيع والشراء، بل يرتبط بالكرامة والانتماء.
- إن الشوق إلى المكان الأول أيقظ الغضب في نفس الفتى، وأشعل داخله نارا العنف، فاندفع نحو خنجره وطعنه في صدر المستعمر. هذا الشعور ولد بداخله عندما مر بجوار منزلهم ومنعه المستعمر من العودة إليه. ولولا أن هذا الظالم قد بسط سلطته على المكان وسكانه. لما حدث ذلك التصرف.
- نوع الحيز في النص هو حيز اجتماعي مكاني، فهو يشير إلى مكان له بعد عاطفي وتاريخي (البيت /الموطن الاول). ويتداخل مع السيطرة الاستعمارية التي تفرض واقعا قهريا على الشخصيات.

¹عبد الملك مرتاض، المرجع السابق، ص110،111.

في قصة تحت السقف يتجلى أن الفضاء الذي تدور فيه الأحداث يبدو جامدا في ظاهره، لكنه يكتسب حيويته من خلال نظرة(الطيب) التي تنبعث منها مشاعر الخوف وتملأ المكان. هذا الخوف لا يبقى حبيسا في أعماقه، بل يتصاعد من أرض الغرفة صعودا نحو سقفها، عابرا الحيز الضيق الذي يفصل بينهما. ليمنح المكان كله طابعا مشحونا بالتوتر والانفعال.¹

- نوع الحيز هنا نفسي داخلي، لأنه يعكس الحالة الشعورية للشخصية (الطيب) ويتشكل من خلال انفعالاتها، رغم أن الوصف يتم ضمن إطار مادي (الغرفة).²

في المقطع الثالث يتوجه الأب إلى رجال الشرطة بنداء صريح "تعالوا لتروا بأعينكم سقف الحجرة وجدرانها التي ينام فيها أولادي"، في محاولة منه لإيصال حقيقة الواقع المأساوي الذي تعيشه أسرته داخل منزل قديم ومتهالك. إن الجدران والسقف وما يحيط بهما من فراغات ضيقة لا تشكل مجرد خلفية للأحداث، بل تعد عناصر أساسية تفجر الموقف وتدفع بالأحداث نحو التأزم. وعندما يتنقل بين الغرف، يعثر على واحدة بلا نافذة وأخرى بلا باب، ليجد أن كلا المكانين لا يصلحان للسكن، إذ إن الأولى تفتقر إلى التهوية، والثانية إلى الخصوصية، وكلاهما يعاني من تفشي الحشرات والأوساخ. هذا البحث المحبط عن مأوى آدمي يكشف حجم المعاناة اليومية في مواجهه بيئة خانقة وغير صحية.³

¹ عبد الملك مرتاض، المرجع السابق، ص111-112

² المرجع نفسه، ص113. 114

³ عبد الملك مرتاض، المرجع السابق، ص114-115

- نوع الحيز هنا حيز هنا مادي اجتماعي إذ أنه يتمثل في تفاصيل ملموسة (الغرف، الجدران، الأوساخ، ضيق المكان)، لكنه يحمل دلالات اجتماعية تحكي الفقر، التهميش، وانعدام الحد الأدنى من الكرامة الإنسانية.

في قصة تحت السقف، يتجلى نوع آخر من الحيز، يرتبط بالرغبة في التغيير، والهروب من واقع خانق إلى أفق أرحب . الأم بإحساس أقرب إلى اليقين، تعد ابنتها بالرحيل، والطفلة تردد كلماتها بفرح طفولي، وكأنها تغني بها الأمل (سنرحل! سنرحل). وعندما تتحقق هذه الرغبة. نراهم قد انتقلوا إلى منزل مهجور، حيث انطلق الأطفال في الحوش الجديد، يركضون ويعبرون عن سعادتهم، فيما بدأت الأم تعتني بالمكان وتنظفه وكأنه بيتهم الشرعي. لكن هذا التحول لا يمر بسلام، إذ تتدخل الشرطة وتقتاد الطيب للتحقيق بسبب استيلائه على هذا المكان، في محاولة الدفاع عن نفسه، يستخدم منطقة ليبرر الفعل، مؤكداً أن بيته السابق لم يكن صالحاً للعيش بل كان خطراً على أسرته.

- الحيز هنا تحولي مادي نفسي، فهو يبدأ كمكان مادي جديد "المنزل المهجور" تسعى إليه الشخصيات هرباً من الخطر، لكنه أيضاً يعكس تحولا نفسيا في شعورهم بالأمان والأمل. هذا الحيز المادي يحمل في طياته بعدا نفسيا واجتماعيا عميقا يتجسد في بحثهم عن الكرامة والاستقرار¹.

في قصة تحت السقف، تسود القتامة والظلام أجواء المكان في عدة لحظات، ويتضح ذلك في مشهد دخول الشخصية إلى المنزل وهي تحمل شمعة أشعلتها مسبقا. هذه الشمعة لا تضيء المكان فقط، بل

¹ عبد الملك مرتاض، المرجع السابق، ص 115-116

تكشف الكثير عن حال الحيز، إذ توحى بغياب الكهرباء عن هذا البيت المهجور مما يعكس حالة الفقر والإهمال، كما أن وجود الشمعة يشير إلى أن الزمن ليل، حيث الحاجة للضوء، وهكذا، تتحول الشمعة إلى عنصر يكشف تفاصيل الحيز، فهي تمنح الرؤية داخل الفراغ ضيق ومظلم وتفتح مجالا لاكتشافه بعد أن كان غامضا ومغلقا.

- نوع الحيز هنا مادي رمزي، فهو مادي في كونه مكانا مظلما ومهجورا، لكنه يكتسب بعدا رمزيا من خلال دلالة الشمعة التي تضيء الظلمة وتكشف عن معاني حضارية وزمنية ترتبط بالانقطاع والتهميش.¹

في قصة إجازة بين الثوار لعثمان سعدي، يتجسد الحيز المرتبط بشخصية جانبية كحيز للسعادة المرتقبة والبحث عن المعنى. فمنذ بداية الأحداث يظهر أنها تسعى إلى مغادرة واقعها الراهن نحو مكان جديد يحمل في طياته تجربة مختلفة، وخلال توجهها إلى تلمسان لزيارة جدتها، يملكها شعور مختلط من الخوف والفضول، إذ تتمنى أن تقابل ثوار جيش التحرير الجزائري، ذلك العالم الغامض الذي لما تعرفه إلا من الكتب والصحف، عالم يشدها لما فيه من مغامرة وتحد.²

- نوع الحيز نفسي رمزي، إذ تطلع الشخصية إلى تجربة إنسانية وروحية أعمق، تتجاوز المكان الجغرافي، وترتبط بتوقعها لاكتشاف ذاتها والانخراط في واقع جديد مليء بالقيم والنضال.

¹ عبد الملك مرتاض، المرجع السابق، ص116-117

² عبد الملك مرتاض، المرجع السابق، ص118-119

في قصة إجازة بين الثوار، يبدو أن الحيز الذي تتحرك فيه الشخصيات، رغم ما يحمله من إشارات للخوف والتوجس، يتسم بالاتساع والجمال. ويتجلى ذلك في وصف المغارات التي لجأ إليها الثوار، حيث نقرأ عن إقامة الشخصيات داخل مغارة خلال النهار، ووصولهم إليها في الظهيرة، وطلب العريف مصطفى من جانيت أن تستريح داخل إحداها. هذه المغارة وإن بدت ملاذا آمناً وسط الجبال، تعرض بأسلوب شاعري يضفي عليها مسحة من السحر، خاصة عندما توصف بأنها تقع قرب نبع بديع، وتشرب منه جانيت، مستمتعة ببرودته الشبيهة بماء خارج من ثلاجة.

الحيز هنا لا يقدم فقط كملجأ حربي للثوار، بل كفضاء يجمع بين الأمان المؤقت والجمال الطبيعي، مما يعزز رمزيته. ويتعزز هذا التصور من خلال قول الكهل الفرنسي الذي كان يرافق جانيت بأن هذه الجبال والوديان أوكار للثوار، وقول مصطفى بأنها تمثل درعا يحمي الثورة. ومع ذلك، لا نجد توظيفاً فنياً معقداً للحيز، بل يظهر ببساطة كامتداد للواقع الثوري، يدمج بين الطبيعة والمقاومة.*

- نوع الحيز هنا مادي طبيعي ذو دلالة رمزية، فهو مكان واقعي (المغارات، الجبال، الوديان)

يستخدم كمأوى للثوار، لكنه في الوقت ذاته يحمل رمزية مرتبطة بحماية الثورة، ويكتسي بعداً

جمالياً يعكس انسجام الإنسان مع الطبيعة في سياق الكفاح.¹

في نهاية التجربة، تعبر جانيت عن حزنها العميق لمغادرتها ذلك الفضاء حين تقول إن آخر

صورة في ذهنها كانت وجه الملازم الأسمر، في إشارة واضحة إلى تعلقها العاطفي به، وإعجابها بشهامته.

هذا الشعور، الذي قد يكون بداية حب مستحيل، تعيقه الفجوة الكبيرة بين واقعها وواقع الثوار،

¹ عبد الملك مرتاض، المرجع السابق، ص 120-121

وتفصل بينهما دماء الحرب، جانيت تودع بيت الفلاح الذي أقامت فيه فترة مع مصطفى ورفاقه، لكنها ترحل وهي تملؤها رغبة خفية في العودة إليه، إذ ارتبط المكان في وجدانها بمشاعر قوية يصعب نسيانها.*

- نوع الحيز هنا نفسي عاطفي، لأنه لا يحتزل في البيت الريفي فحسب، بل يتسع ليشمل كل ما شكله من مشاعر، خاصة الحب والحنين، التي حملتها جانيت معها بعد المغادرة.

المبحث الثالث: تحليل اعمال اخرى لعبد الملك مرتاض:

في هذا المبحث، سأتناول بالتحليل عمليين إضافيين لعبد الملك مرتاض، يتمثل الأول في كتاب ألف ياء (دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة أين ليلاي لمحمد العيد آل خليفة)، والثاني ألف ليلة وليلة (تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية حمال بغداد)، كما سأتوقف عند بعض الملاحظات النقدية التي وجهت لمنهجه وأسلوبه في المعالجة، سواء من حيث الرؤية النظرية أو الممارسة التطبيقية.

أولاً: كتاب ألف ياء :

في الفصل الرابع من كتاب ألف ياء، يتناول المؤلف موضوع الحيز الشعري في نص " أين ليلاي؟"، مستعرضاً طبيعة هذا الحيز وعلاقته بالفضاء داخل النص. وقد بين الفروق بين المصطلحين، مفضلاً استخدام مصطلح الحيز على غيره من المفاهيم المتداولة في تحليل الخطاب الأدبي، موضحاً أسباب هذا الاختيار بعد ذلك، صنف حيز النص إلى خمسة أنماط رئيسية: الحيز التائه، الحيز المحرم،

الحيز المتحرك، الحيز القاصر عن الاحتواء، وأخيراً الحيز الحالم.¹

1) الحيز التائه:

¹ عبد الملك مرتاض، المرجع السابق، ص 120-121

تواجه الشخصية الشعرية في قصيدة "أين ليلاي" تساؤلا حائرا لا تجد من يجيب عليه، مما يدفعها الى إعادة طرحه على نفسها. وبذلك تصبح هي المرسل والمستقبل للرسالة في آن واحد. تطغى على هذه الرسالة سمات الحيرة واليأس، حيث لا يشير البحث عن "الحيز المفتوح" أي حيز ليلي إلا إلى ضيق شديد بالحيز الراهن الذي لم تجد فيه الشخصية الشعرية سوى الشقاء والاضطهاد. هنا، لا يقصد بالحيز الأرض الجغرافية للجزائر، بل هو حيز روحي ونفسي، يتمثل في الضيق بالوجود الذي كان يحتوي الشخصية الشعرية، مما يدفعها إلى البحث في كل اتجاه.

(2) الحيز الممنوع:

يعبر عن المساحة التي حرمت منها الشخصية الشعرية بعد محاولاتها المتكررة في البحث عن "حيز ليلي" دون جدوى، فقد انطلقت في جميع الاتجاهات، لكنها لم تجد سوى الحواجز والقيود التي تمنعها من الوصول إلى مبتغاه، يجسد هذا حالة من الإغلاق والانسداد، حيث يقال "حيل بيني وبينها"، مما يعكس التباعد التام بين الذات والموضوع المنشود.

في هذا السياق، لا يقصد بالحيز الممنوع مجرد مكان جغرافي، بل هو تجسيد رمزي للموانع النفسية والوجدانية التي تحول دون التواصل أو التلاقي، إنه فضاء من العزلة والحرمان، حيث تصبح الشخصية الشعرية محاصرة بين رغبتها في الوصول إلى "ليلى" وواقعها المعيش المليء بالعوائق.¹

(3) الحيز المتحرك:

¹ عبد الملك مرتاض، المرجع السابق، ص121-122

يجسد في القصيدة من خلال مجموعة من المجازات التعبيرية، مثل "يا عيني اذربي، روعتني بينها"، هذا الحيز معنوي بامتياز، حيث يتجسد في العواطف الجياشة والانفعالات الطافحة بالحزن. يرتبط هذا الحيز بحركة داخلية تسعى إلى التحرر من الحيز الثابت، وتستبدله بالحيز المطلوب الذي يمثل حالة من التغيير والتحول النفسي .

إن استخدام المجازات مثل "يا عين اذربي" و "روعتني بينها" يعبر عن حالة من الفقد والانكسار، حيث تنادي العين لتذرف الدموع تعبيراً عن الحزن العميق وتذكر "بينها" كرمز للمسافة أو الفراق الذي يسبب الألم. هذا الحيز المتحرك لا يقتصر على كونه مجرد تعبير عن الحزن بل، يظهر أيضاً الصراع الداخلي للشخصية الشعرية بين الرغبة في التغيير والواقع المعيش، إنه يعكس التوتر بين الثبات والتغيير، بين ما هو كائن و ما يراد له أن يكون .

من خلال هذا الحيز، تسعى الشخصية الشعرية إلى التحرر من القيود النفسية والوجدانية التي تحاصرها، وتبحث عن مساحة جديدة تعبر فيها عن ذاتها وتحقق فيها تواصلًا مع "ليلي" أو مع الذات المفقودة .

4) الحيز القاصر عن الاحتواء :

يتجلى مفهومه في قول الشاعر "السموات والأراضي جميعا نفينها، أنهجا ما حوينها" هنا، يعبر الشاعر عن اتساع الفضاء الكوني (السموات والأراضي) الذي يبدو شاسعاً، لكنه في الواقع قاصر عن احتواء الموضوع "ليلي".

فالحيز الثابت، رغم اتساعه الظاهري، لا يستطيع احتواء الذات الشاعرة أو موضوعها، مما يظهر التناقض بين الامتداد المكان والقصور الدلالي.

هذا الحيز يظهر محدودية الفضاء المادي في احتواء المعاني العميقة والتجارب الوجدانية للشخصية الشعرية، إنه يعكس الصراع بين الواقع المادي والواقع النفسي حيث لا يستطيع الفضاء الجغرافي استيعاب الأحاسيس والمشاعر الداخلية .

(5) الحيز الحالم :

عندما عجزت الأمكنة الجغرافية عن احتواء موضوعها، تمسكت الشخصية بفضاء وهمي، متخيلة إياه مكانا لوجود "ليلي"، هذا الفضاء الحالم يتجسد في الأطياف والخيالات التي تروي سيرتها، مما يعكس تماهي الذات مع هذا الحيز المتخيل .

إن هذا الحيز لا يعتبر مجرد مساحة خيالية، بل هو تجسيد رمزي لحالة من الفقد والاشتياق، حيث تصبح الأطياف تجسيدا للذكرى والمشاعر العميقة التي لا يمكن للأمكنة المادية احتواءها. إنه فضاء يتجاوز الحدود الجغرافية ليعبر عن عمق التجربة الإنسانية والوجدانية.

من خلال هذا الحيز، تسعى الشخصية الشعرية إلى إيجاد تواصل مع "ليلي" في عالم يتجاوز الواقع الملموس، مما يعكس الصراع بين الرغبة في التغيير والواقع المعيش، إنه يعكس التوتر بين الثبات والتغيير، بين ما هو كائن وما يراد له أن يكون¹.

¹ سامية طواهرية، التفكير السيميائي عند عبد الملك مرتاض (مقاربة وصفية)، محمد الأمين خلادي، شهادة ماستر، تخصص، الجهود اللغوية والأدبية عند الجزائريين إبان القرنين التاسع عشر والعشرين، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة أدرار

ثانيا: الحيز في كتاب ألف ليلة وليلة (حكاية حمال بغداد):

1- الحيز الجغرافي:

الحيز الجغرافي هنا يشير إلى المكان الواقعي، سواء كان موجودا فعلا أو قد وجد في الماضي، وله جذور تاريخية وجغرافية حقيقية. ورغم أن بعض الأمكنة جاءت في السرد بشكل عام وغامض مثل "بلاد الهند" التي وردت أربع مرات، فإن بغداد هي التي تبرز كنقطة محورية، يتكرر حضورها بشكل واضح سواء في بعدها الجغرافي الحقيقي أو الرمزي.

بغداد كانت مركز الأحداث في هذه الحكاية- والتي يمكن أن نطلق عليها "حكاية حمال بغداد"- مثلما كانت منطلقا ومقصدا في عدد كبير من حكايات "ألف ليلة وليلة". كل الشخصيات المهمة تنتمي إلى بغداد، أو تعيش فيها أو تتوق إلى الوصول إليها، كما يظهر من قصة الصعاليك الثلاثة الذين قادتهم مقادتهم معاناتهم إلى هذه المدينة.

الاندفاع نحو بغداد لا يأتي من فراغ، فهي في هذه الحكايات تلبس حلة أسطورية تجعلها مرادفا للسعادة والرخاء والاستقرار، حتى تصبح رمزا للمكان المثالي الذي تحقق فيه الأحلام، لهذا السبب، يركز السرد الشعبي العربي عليها، ويتخذ منها مركزا ثابتا لتحديد الفضاء المكاني للحكاية.

فنجند أولا: أن الحمال من بغداد، وكذلك الفتاة الجميلة التي استأجرته لحمل مشترياتها، وعلى

الرغم من أن المدينة لم تكن تلبى كل حاجاتها الزراعية، إلا أن الخيرات كانت تتدفق عليها من أنحاء المشرق، تماما كما تفعل عواصم العالم الكبرى اليوم التي تستورد ما تحتاجه من مختلف الجهات.

ثانياً: كانت الدار التي دخلتها الفتاة تقع في قلب بغداد، وتميزت بالفخامة والزينة، حتى إن بابها كان مغطى بالذهب الأحمر، مما يعكس غنى هذا المكان وأناقة تفاصيله.

ثالثاً: هذه الدار لم تكن مجرد مكان للسكن، بل كانت مسرحاً لأحداث الحكاية بأكملها، وفيها ظهر الخليفة هارون الرشيد ووزيره جعفر البرمكي وهذا يوحي بأن السرد الشعبي حرص على أن يتلاءم المكان مع هبة الشخصيات فيه، فاختار له الفخامة والترف. وربما في ذلك دلالة على رفض الفقر والتهميش وتوق إلى الخيال الشعبي إلى العيش في بيئة مرفهة تليق بالشخصيات البطولية أو السلطوية.

رابعاً: الصعاليك الثلاثة رغم أنهم ليسوا من أهل بغداد، إلا أنهم ظلوا يتوقون إليها حتى تمكنوا من الوصول إليها، مما يعزز مكانة المدينة كرمز للملاذ والهدف المنشود.

خامساً: لم يعتمد السرد الشعبي على أمكنة خرافية أو بعيدة ليجعلها محورا للأحداث، بل فضل بغداد، التي تحولت إلى مركز السرد الحقيقي بينما بقيت باقي المدن في موقع الخلفية أو التذكير العابر، دون أن تنال نفس الحضور أو الحيوية.

وأخيراً، حتى عندما لا تذكر بغداد صراحة، يتم الإشارة إليها بشكل غير مباشر سواء من خلال أوصافها أو لوازمها المكانية، يظهر ذلك مثلاً عند الحديث عن "الخروج من المدينة" و "الوصول إلى هذه المدينة"، مما يميز بين مدينة طرد منها الناس بسبب الشقاء، وأخرى تستقبل فيها الشخصيات

بالنعيم والرفاه، وهي بلا شك بغداد. فهنا تكتمل عناصر السعادة، ويعم الرخاء ويصبح المكان رمزا للسكينة والوفرة¹

2: الحيز الشبيه بالجغرافي :

هذا النوع من الحيزات يقع في منطقة وسطى بين المكان الجغرافي المعروف والمكان الخرافي المتخيل، فهو ليس واقعيًا تمامًا، كما أنه لا ينتمي بالكامل إلى عالم الخيال. في هذا السياق السردي، واجهنا ثلاثة وعشرون نموذجًا لهذا النوع من الحيز، توزعت بين عدد من الليالي: ستة منها وردت في الليلة الثانية عشرة، وخمسة في الليلة السادسة عشرة، وثلاثة في كل من اللياليتين الثالثة عشرة والخامسة عشرة.

هذا النوع من الحيزات يتميز بالغموض، فلا يعطيك انطباعًا حاسمًا بواقعيته، ولا يبدو أيضًا متخيلاً بالكامل، مثال على ذلك ما قاله «الصعلوك الأول» في حكايته عن نفسه، حيث يشير إلى مكان ما بطريقة تثير الشك حول حقيقته، فلا تدري هل هو مكان حقيقي له وجود فعلي، أم مجرد بناء تخيلي يضيف طابعًا خاصًا للسرد.

النص يناقش فكرة "الحيز" أو "المكان" كما يظهر في أحد الأعمال الأدبية، والحيز هنا لا يعني فقط المكان الجغرافي بل هو الفضاء الذي تجري فيه الأحداث سواء كان واقعيًا أو خياليًا.

المظهر الأول: للحيز (السفر) كمؤشر على وجود حيز مكاني واسع. السفر في أي قصة يفترض

ضمنيًا أن هناك حيزًا يتحرك فيه المسافر الكاتب يلفت الانتباه إلى أن استخدام عبارة مثل "سافرت

¹ عبد الملك مرتاض، ألف ليلة وليلة (تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية جمال بغداد)، ديوان المطبوعات الجامعية، 4-1993ص

حتى وصلت" فيها إشارة إلى أن الرحلة طويلة. كلمة "حتى" في هذا السياق تستخدم لتحديد نهاية الرحلة، لكنها أيضا تفيد أن ما قبلها طويل أو ممتد. وبالتالي سفر الشخصية يشير إلى أن المسافة التي قطعتها كانت كبيرة، وهو ما يعكس اتساع الحيز المكاني في القصة.¹

__دعم الفكرة من خلال السياق الملكي للشخصيات: الكاتب يوضح أن المدينة التي وصل إليها المسافر كانت عاصمة الملك، كما أن والد الشخصية هو أيضا ملك. هذا يوحي بأن الحديث يدور عنه مملكتين مختلفتين، وليس فقط مدينتين عاديتين.

__ووفق المنطق السياسي والجغرافي القديم، لا يمكن أن تكون عاصمتا مملكتين مستقلتين متجاورتين إلى حد القرب، بل يفترض أن بينهما المسافة الطويلة بين العاصمتين تدعم الفكرة السابقة: أن الحيز المكاني الذي تتحرك فيه الشخصيات ليس ضيقا أو محدودا، بل هو فضاء واسع، وربما يمتد إلى حدود أسطورية أو خيالية في بعض التأويلات.

المظهر الثاني: (الوصول إلى وجهة السفر)، انتهاء الرحلة هنا لا يعني فقط توقف الحركة، بل يشير

إلى الدخول في حيز جديد هو المكان الذي كانت تسعى إليه الشخصية بعد هذا السفر الطويل. وعلينا أن نتخيل هذه المدينة التي وصلتها، والتي تمثل عاصمة مملكة عم الشخصية بأنها مدينة مزدهرة بالتجارة، تعج بالبضائع، وغنية بمظاهر الحضارة. أي أنها لا بد أن تتصف على الأقل بالحد الأدنى من الخصائص التي تميز العواصم الكبرى في أي زمن، من حيث التنظيم، والثراء، والنشاط الاقتصادي. هذا يمثل ما

¹ عبد الملك مرتاض، ألف ليلة وليلة (تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية حمال بغداد)، ديوان المطبوعات الجامعية، 4-1993ص 114

يمكن تسميته " بالحيز الامامي " في النص، أي الفضاء الظاهر الذي يصفه السرد بشكل مباشر. ولكن هناك أيضا "حيزا خلفيا" يمكن استنتاجه من خلال ما يلمحه إليه النص دون أن يصرح به مباشرة.

الحيز الخلفي: الطريق بين المدينتين. يمكن أن نتصور الطرق التي سلكتها الشخصية في انتقالها من مدينة والدها، الذي فقد حياته إلى مدينة عمها، الذي يظهر في موقع ضعف. وبما أن الرحلة وصفت سابقا بأنها طويلة. فمن الطبيعي أن هذه الطرق لم تكن مستقيمة أو سهلة، بل كانت مليئة بالتحويلات والانعطافات والمرتفعات والمنخفضات.

تخترق هذه الطرق تضاريس متنوعة: من أنهار ومعابر ووديان إلى غابات وحدائق وربما صحاري وفضاءات قاحلة كما أن ألوان الأرض تتغير فتارة تكون حمراء واخرى بيضاء، سوداء او صفراء وتتناثر فيها الصخور الصلبة والحجارة الكبيرة التي تعيق المرور.

كل هذه التفاصيل تشكل ما نسميه " الحيز الخلفي " وهو غالبا ما يكون أكثر غنى وتعقيدا من الحيز الأمامي، لأنه يتجاوز الصورة الظاهرة ويمتد إلى ما يمكن تخيله من عناصر المكان الذي يتحرك فيه السرد، حتى وإن لم يتم وصفه صراحة، ذلك لأن وعينا بالمكان - يبنى في العادة - يركز على الظاهر فقط، أما الخلفيات، فتبقى مساحة للتأمل والافتراض، لكنها لا تقل أهمية عن المشهد المباشر.

لم يكن تصور الحيز الخلفي في هذا النص نابعا من رغبته في الخيال لأجل الخيال. بل جاء مبني على ما ورد ضمنيا في السرد من إشارات وأهمها وصف السفر بأنه طويل. هذا الوصف وحده يكفي لفتح المجال أمام تصور حيز مكاني غني ومتنوع، إذ أن الرحلات الطويلة غالبا ما تمر عبر تضاريس متعددة، وبيئات متغيرة من جبال وأودية وغابات وصحاري الى أنهار ومعابر. وكل ذلك يضيف على

الطريق طابعا بصريا وحسيا متجددا. وبناء على هذا فإن استحضارنا لهذا الحيز ليس خيالا محضاً، بل استنتاج مشروع اتاحه النص، وإن لم يذكره صراحة، فكان كامناً في خلفية الأحداث، واعدناه نحن إلى السطح لنمنحه حضوره الكامل بوصفه جزءاً من الفضاء السردي.

والى جانب الطريق، يبرز أيضاً موقع المدينة التي وصلتها الشخصية بوصفه حيزاً له دلالة خاصة، فهي عاصمة، والعواصم في السياقات التاريخية القديمة لم تكن تبنى اعتباراً بل كان لاختيار موقعها ارتباط مباشر بتوفر عناصر الحياة، وأهمها الماء. فقد كانت المدن الكبرى تقام غالباً على ضفاف الأنهار أو قرب منابع مائية، لأن الوسائل التقنية في تلك العصور لم تكن تسمح بجلب الماء من مسافات بعيدة، مما يجعل قرب الماء شرطاً أساسياً لبناء المدينة. ويمكن تخيل المدينة التي وردت في النص بهذه الصورة، فهي بلا شك مبنية على نهر أو منبع غني كحال مدن عربية كثيرة في التاريخ، مثل دمشق على بردى، بغداد على دجلة وفاس على تلمسان وعلى منابع محلية. ولعل من الصور اللافتة أن بعض المدن كانت تتفنن في جلب المياه بطرق بدائية لكنها فعالة، مثل مدينة تلمسان، التي كان الماء يصلها من شلال الوريث عبر قناة تحت الأرض وبهذا، فإن الحيز المكاني لا يتوقف عند مجرد تحديد نقطة الوصول، بل يمتد ليشمل طبيعة المكان، وموقعه وشروط قيامه كلها أمور تضيف للحيز عمقا ورؤية أوسع .

من الصورة الخلفية التي تثيرها الإشارة إلى فضاء المدينة، تلك المرتبطة بفكرة المنفذ، إذ لا يكاد يخلو أي كيان مدني من ضرورة الارتباط بممر مائي سواء كان بحرياً أو نهرياً، كما يظهر جلياً في نماذج أغلب المدن القديمة شرقاً وغرباً. وإذا كان العرب قد ابدوا في البداية تردداً إزاء البحر نتيجة مواقف متحفظة، فإنهم سرعان ما تجاوزوا هذا الحذر، فأنشأوا أساطيل ضخمة اقتحموا بها المرافئ والحصون

الساحلية ويكفي أن نشير إلى أن أسطول عبد المؤمن بن علي وحده كان يتألف من نحو أربعمئة قطعة بحرية، مكنته من بسط النفوذ على أجزاء واسعة مياه المتوسط.

ومع كل ما تقدم من دلالات جغرافية، تظل هذه المدينة غير قابلة للتحديد ضمن موقع واقعي بعينه، فهي ليست إلا مدينة متخيلة، رسمتها ملامح السرد وحده وولدت من خيال الشخصية الروائية، مدينة من ورق لا تنتمي إلى خريطة فعلية، وإنما تستقر في الهواجس والتصورات.

أما الطريق الثاني الذي نسجت تفاصيله في النص، والذي ينطلق من عبارة "سرت منها حتى وصلت"، فهو يختلف جوهريا عن الطريق الأول من نواحي عدة:

- **أولا:** الشخصية هذه المرة كانت مشردة، خائفة لا تعلم إلى أين تتجه ولا ما الذي تسعى إليه بالضبط. لم يكن لديها هدف واضح أو وجهة محددة بل كانت تسير مدفوعة برغبة في الفرار من ظرف عصيب من ظرف عصيب، وبحثا عن مأوى يحميها.
- **ثانيا:** وبسبب تعرض قافلته للنهب، افتقدت أدني مقومات الراحة، فلا وسيلة نقل، ولا ثياب تبدلها، ولا خدم يعينونها، ولا حتى طعام يسد جوعها.
- **ثالثا:** يختلف الحيز الذي تتحرك في هذه الشخصية عن ذاك الذي رأيناه في الطريق الأول. فبينما كان ذاك طريقا منظما واضح المعالم والزمن. فإن الحيز هنا بلا ملامح جغرافية، لا زمن يحده، ولا مسار يقود إليه. الشخصية فيه لا تسير ضمن خطة، بل تتيه، لا تقطع المسافة بقدر ما تتخبط في لجة المجهول¹

¹ عيد الملك مرتاض، ألف ليلة وليلة (تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية حمال بغداد)، ص 122 و 124

الحيز المائي :

يقصد بالحيز المائي كل ما يرتبط بالبحار والأنهار والبرك، وما يتصل بها من جزر وسفن وزوارق، وما يترتب على وجودها من مغارات وأخطار ومعتقدات شعبية، تنتمي إلى عالم العجائب وفي " حكاية حمال بغداد" التي نحن بصدد تحليلها، يظهر هذا النوع من الفضاء في ثمانية وعشرون نموذجاً، تتكرر بشكل لافت في الليالي الخمسة عشرة، والسادسة عشرة، والثامنة عشرة، مما يعكس طبيعة البناء الحكائي والخيال الذي يتحرك به الراوي شخصياته.

ونقف هنا عند نموذج ثالث يتفوق على سابقيه من حيث الحركة، والصراع، والتفاؤل مع التفاعل مع القوى الغيبية، تروي الشخصية وهي الصعلوك الثالث، كيف انتهى بها الامر على جبل موحش بعد أن ألقته الأقدار هناك عبر لوح عائم وبإشارة من هاتف غيبي شرعت في أداء طقس سحري تسبب في انتفاخ البحر، فظهر زورق يقوده رجل خارق. ركبته وسارت به في البحر عشرة أيام حتى جاء ذكر اسم الله، وهو ما نهاها عنه الهاتف فغضب قائد الزورق، وقذفها في الماء. تقول الشخصية (قذفني الزورق

ثم رجع في البحر)، وتتابع سرد ما عاشته من معاناة في الساحة طوال النهار، حتى أنهكها التعب وكادت تهلك، قبل أن ترتفع موجة ضخمة كالقلعة وتقذفها إلى البر، وعند استيقاظها، تكتشف أنها في جزيرة صغيرة محاطة بالماء من كل جانب.

يمكننا أن نرى في هذا المقطع أربع صور مكانية مائية مميزة:

أ/ الحيز الملازم للزورق: يظهر تعلق الراوي بالحيز البحري من تكرار ذكره لكلمات مثل "قذفي

الزورق" و"في البحر"، حيث يتحول الزورق إلى وسيلة تنقل داخل حيز مائي متغير. في البداية، كان الزورق يحمل شخصين، مما جعله ثقيلا، ولكن بعد أن قذف الشخصية، عاد خفيفا. وهذا التحول ينعكس حتى في الأثر الذي يتركه على سطح البحر، من حيث العمق والحركة.

ب/ حيز السباحة المضطرب: الحيز الثاني يظهر من خلال وصف الشخصية لكيفية صراعها

مع البحر وهي تسبح طوال النهار، تقاوم الامواج وتحرك جسدها بكل طاقتها. وقد استمر هذا الحيز المليء بالحركة والتعب إلى أن جاءت موجة ضخمة أنقذتها، فدفعتها إلى اليابسة، مما يجعل من البحر رمزا للخطر، لكنه أيضا طريق إلى النجاة.

ج/ تحول البحر إلى وسيلة إنقاذ: في هذا النموذج، نلاحظ كيف يتحول البحر من مجرد سطح

هادئ إلى حيز غاضب بفضل الرياح فتتشكل أمواج ضخمة، وهذا الانتفاخ في البحر، رغم ما يحمله من رعب، هو ما ينقذ الشخصية مرتين: مرة حين يعلو ليصل إلى الجبل ويأتي بالزورق، ومرة حين يقذفها إلى البر إنه حيز غريب، يجمع بين الهلاك والخلاص.

د/البر الذي هو امتداد للبحر: وأخيراً، بعد أن تصل الشخصية إلى اليابسة، تدرك أن هذه الأرض ليست سوى جزيرة صغيرة محاطة بالماء، وكأن لعنة البحر ما تزال تطاردها، ومع ذلك، يبدو أن هذه الشخصية مولعة بالحيز المائي فهي تركب البحر مراراً، وتضيع فيه وتوشك على الغرق، ثم تعود إليه مرة بعد أخرى وكأنها محكومة بحياة لا تنفصل عن هذا الفضاء المتقلب، الذي يجمع بين العذاب والسحر والجاذبية بهذا نرى كيف يشكل الحيز المائي عنصراً مركزياً في تجربة الصعلوك الثالث، ليس فقط كإطار جغرافي، بل كقوة رمزية تحمل دلالات الفقد، والبحث والانبعاث¹

الحيز المتحرك:

يعتبر الحيز المتحرك من أبرز وأشد أنواع الحيز إثارة، خاصة عندما يكون تحركه ناتجاً عن قوى غيبية خفية، وهو ما كانت الذهنية الشعبية تؤمن به وتدرجه في سردها الحكائي. من أبرز الأمثلة على هذا النوع من الحيز ما ورد في الليلة الخامسة عشرة، حيث يذكر أن الأسطول، أثناء إبحاره في البحر، تنبه لتغيرات الرياح التي دفعته نحو جبل المغناطيس، وعندما أدرك قائد الأسطول ذلك، نادى بالويل والثبور إذ علم أن السفن ستجذب نحو هذا الجبل العجيب. تتمثل اللوحة الحيزية الأولى في السفن العشر التي كانت في الأسطول، والتي بدأت تتأثر تدريجياً بتأثير الجبل المغناطيسي، فكلما اقتربت السفن من الجبل بدأت المسامير والألواح المعدنية تنجذب نحوه، مما أدى إلى تمزق السفن وتفككها، تتساقط الألواح وتطفو على سطح البحر، بينما تواصل المسامير مسارها نحو الجبل، مدفوعة بقوه غير مرئية.

¹ ينظر، عبد الملك مرتاض، ألف ليلة وليلة (تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية حمال بغداد). ديوان المطبوعات الجامعية. 4 سنه 1993 صفحة 120.121.123.124.

في هذه اللحظات، يعم الهلع بين الركاب، حيث يسعى البعض للتمسك وكان الناس في مشهد مروع يركضون ويتخبطون وسط دوامة من الفتنة والخوف والرعب حتى أن أفضلهم حالا هو من وجد لوحا خشبيا عريضا يتشبث ليحمله وسط الأمواج المتلاطمة دون أن يعرف أين تقوده تلك المياه الهائجة فما من حركة أشد عنفا ولا أشد فزعا من تلك التي تقع رغما عن إرادة الناس.

إن هذا المشهد المكاني يعد من أندر وأعجب ما يمكن أن نراه في عالم "ألف ليلة وليلة" ويعود الفضل في صناعته إلى خيال شعبي مدهش قرر أن تكون نهاية حكاية الملك-الصعلوك الثالث-على هذه الصورة المفجعة¹

5: الحيز التائه

خلال سرد الليلتين الخامسة عشرة والسابعة عشرة، أربعة أمثلة، على ما يمكن تسميته بالحيز التائه، وهو نوع من الحركة في الفضاء لا تقود إلى هدف واضح أو نهاية متوقعة. في هذا النوع من الحيز، تتعرض الشخصيات للضياع، كأن تبحث إحداها عن مدخل لقصر فلا تجده، أو تنحرف عن المسار في عرض البحر فتفقد وجهتها ويتعذر عليها بلوغ غايتها. يتجلى هذا النمط بشكل واضح في أحداث الليلة الخامسة عشرة، حيث تتوه الشخصية الرئيسية بفعل ضياع الأسطول، فتدخل في سلسلة من المحن والمصاعب وغالبا ما يحدث هذا الضياع عندما تسلك الشخصيات طريق البحر، إذ إن تقلب الرياح في زمن السفن الشراعية كان سببا شائعا في تشتت المسارات، كما يوضح ذلك أحد الصعاليك في قوله "تأنا يوم جاءت علينا الرياح المختلفة" تبدو اللوحة المكانية تائهة هنا مشوشة ومتذبذبة، حيث

¹ ينظر، عبد الملك مرتاض، ألف ليلة وليلة (تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية حمال بغداد)، المرجع السابق ص132

أدى تبدل الرياح وتنوع اتجاهاتها إلى ارباك قائد الأسطول حتى فقد قدرته على تحديد المسار الصحيح. وغالبا ما يشكل هذا النوع من التيه تهديدا كبيرا على الشخصية كما نرى في هذا المشهد حيث يدفع الأسطول قسرا نحو جبل المغناطيس وهو جبل خيالي تعلوه قبة يتربص فوقها فارس مسحور. هذا الفارس يتحكم في السفن العابرة عبر قواه السحرية، فيجذب المسامير الحديدية من السفن نحو الجبل ما يؤدي إلى تمزقها وتحطمها بالكامل وتنجرف بقاياها في البحر فيغرق معظم من كان على متنها. وحدها الشخصية المركزية تنجو، إما برعاية قدرية أو بتدخل من السارد الشعبي ولا يبدو هذا الضياع ناتجا عن خطأ عارض، بل هو نتيجة مباشرة لقسوة الطبيعة وتقلبها فقد كان المسار واضحا والاتجاه معروفا لولا تلك الرياح المتعارضة التي اجتاحت السفن فأفقدت الربان بصيرته وأربكت خبرته، فلم يعد قادرا على التوجه إلى الوجهة التي كان يقصدها¹

: الحيز الخرافي

من خلال هذه الحكاية العجائبية، نجد أربعة عشر نموذجا ينتمي إلى ما يمكن تسميته بالحيز الخرافي، وقد وردت هذه النماذج ضمن الليالي الثلاثة عشرة، والرابعة عشرة، والخامسة عشرة، والسابعة عشر، ثم التاسعة عشرة، ويعد الحيز الخرافي أوسع من أي حيز آخر، لا من حيث المساحة فحسب، بل أيضا من حيث الانفتاح على اللا محدود إذ لا يمكن ضبطه بقيود الواقع، فهو وليد الخيال الشرقي الخصب، المدهش.

¹ ينظر، عبد الملك مرتاض، ألف ليلة وليلة (تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية حمال بغداد)، المرجع السابق، ص 134

فاذا كان جبل المغناطيس يدخل ضمن حيز القوى الخارقة والعارفانية فان بعض هذه النماذج الاخرى تمثل عوالم المسخ واللعنات التي تنزل من السماء على من يستحقونها من البشر، وإذا لم تحقق الشخصية المركزية فائده كبيرة من تجربتها في جبل المغناطيس- باستثناء اكتشافها للزورق السحري في نهايته- فإننا نرى في مثال آخر حيزا خرافيا جميلا ونافعا يفيض بالخيرات على من يدخله. ففيه تقع الفتاة الساحرة، التي تسكن قصرا ممسوخا في حب فتى يزور المكان وتعرض عليه الزواج والعودة معه إلى بغداد، إنه إذن، فضاء إيجابي يمنح الشخصية ما تحتاجه بدلا من أن يهددها أو يضرها يضرها.

أما بالنسبة لجبل قاف، فنلاحظ أنه ورد في الحكاية بوصف احتمالية لا واقعا. الفتاة الأولى تدعي أنها قادرة على نقل مدينة والدها إلى ما وراء هذا الجبل، كنوع من المبالغة. وكذلك العفريتة حين تتحدث عن الجبل، لا تأتي على ذكره إلا لتشير إلى بعده واستحالته. فالسارد الشعبي يستخدم هذا الحيز ليعبر عن أقصى درجات البعد، وكأنما يوحي بأن هذا المكان غير واقعي، بل إنه وسيلة فنية ذكية لتعميق الاحساس بالمستحيل.¹

: الحيز العجيب الغريب

كان بالإمكان أن ندرج هذا النوع من الحيز ضمن الحيز الخرافي ونكتفي بذلك، وقد يخطر هذا التصور على ذهن القارئ المتأمل أو الناقد المتمرس لكن هذا الإدراج لا يكون دقيقا تماما، لأن الحيز العجيب لا يتطابق كليا مع الحيز الخرافي، رغم تقاطعهما في بعض الجوانب⁷، ففي مواضيع سابقة، لاحظنا أن الحيز العجيب يتشكل أحيانا بتدخل قوى خارقة.²

¹ ينظر، عبد الملك مرتاض، ألف ليلة وليلة (تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية حمال بغداد)، المرجع السابق، ص 137

² ينظر، عبد الملك مرتاض، ألف ليلة وليلة (تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية حمال بغداد)، المرجع السابق، ص 141

الانتقادات :

وقع الدكتور عبد الملك مرتاض في سوء فهم عند تفسيره لمفهوم الحيز في الادب العربي القديم، حيث اعتبره مرادفا للمكان المطلق والفضاء العام، وهو ما يتعارض مع المفهوم اللغوي الدقيق. فوفقا لابن تهمانة و الجرجاني يعرف الحيز على انه (الفراغ المطلق)، سواء كان مساويا لما يشغله الجسم او زائدا عليه، او ناقصا عنه. هذا التعريف يشير الى أن الحيز ليس مجرد مساحة مادية ثابتة، بل هو مفهوم مرن وديناميكي يتجاوز الحدود الجغرافية لذلك، يعتبر الحيز في الادب العربي القديم اكثر تعقيدا من كونه مجرد مكان ثابت، بل هو مفهوم يتداخل فيه الفراغ والوجود، ويعكس التفاعل بين الذات والفضاء المحيط بها، هذا التفسير يفتح آفاقا جديدة لفهم كيفية تمثيل المكان والفضاء في الادب العربي و يبرز أهمية إعادة النظر في المفاهيم التقليدية لتوسيع نطاق التحليل النقدي.

يبدو ان الدكتور عبد الملك مرتاض قد وقع في التباس عند تفسيره لمفهوم الحيز في الادب العربي، حيث وسع دلالاته لتشمل مفردات ومفاهيم قد لا تتناسب مع الاصل اللغوي للكلمة.

ففي اللغة العربية، يشتق مصطلح الحيز من الجذر (حاز)، الذي يعني امتلاك الشيء والسيطرة عليه. وبالتالي، يفهم الحيز على المساحة او المجال الذي تحددت جوانبه وأبعاده، اي انه مكان محدد يمكن تملكه او السيطرة عليه. لكن عند توسيع هذا المفهوم ليشمل مفردات مثل (السماء)(الامكنة الغيبية)(الخيال)(الفراغ)(المكاييل)(الموازين)، يظهر التباين بين الدال والمدلول، فكيف يمكن لهذه المفردات ان تصنف كحيز في ظل التعريف اللغوي الاصلي؟ ان تحميل كلمة الحيز معان إضافية يتطلب وجود علاقه مناسبة بين الدال والمدلول، وهي علاقه قد تكون غائبة او غير واضحة في بعض الحالات.

الفصل الثاني : الحيز من منظور عبد الملك مرتاض في كتاب القصة الجزائرية المعاصرة

لذلك، يطرح التساؤل اين تكمن المناسبة بين الحيز وهذه المفردات؟ إن هذا التوسع في استخدام مصطلح الحيز قد يثير إشكالا في دقة التحليل النقدي، حيث يفترض ان يكون هناك تطابق او على الاقل علاقة منطقية بين اللفظ ومعناه. وبدون هذه العلاقة، قد يفقد المفهوم وضوحه ويصبح عرضة للتأويلات المتعددة

*بوعلام محمدي، تقنيات السرد وأشكاله عند عبد الملك مرتاض كتاب في نظرية الرواية أنموذجا، حكيمة بوقرومة، شهادة دكتوراه أدب عربي حديث، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الاداب واللغات، جامعة محمد بوضياف المسيلة، 2019.. ص168

خاتمة

خاتمة:

أصل في ختام هذا البحث، الذي وسمته ب (الحيز لدى عبد الملك مرتاض في كتابه القصة الجزائرية المعاصرة). مستعينا بالله تعالى، وبعد الغوص في أعماق هذا المفهوم وتحليله من زوايا متعددة، توصلت إلى مجموعة من النتائج أوجزها فيما يلي:

__ أدى اختلاف المرجعيات اللغوية والثقافية إلى تباين واضح بين النقاد العرب في ترجمة المصطلحات النقدية الغربية، رغم اعتمادهم على النظريات نفسها.

__ نشأ لدى كل ناقد توجه خاص في صياغة المعجم النقدي، مما أفضى إلى تفرد كل تجربة نقدية بمصطلحاتها.

__ انطلق مشروع عبد الملك مرتاض من خلفية تراثية راسخة وآفاق حدثية رحبة، وفق منطلقات منهجية دقيقة، لتأسيس مقاربة نقدية جديدة تجمع بين الأصالة والابتكار.

__ الحيز ليس مجرد إطار مكاني، بل مكون دلالي فعال في بنية النص، يتفاعل مع الشخصيات و الأحداث ويوجه المعنى.

__ تتعدد انماط الحيز داخل النصوص الأدبية، حيث يمكن أن يكون حيزا واقعيا (كالمكان الجغرافي المعروف)، أو رمزيا (يعكس حالات نفسية أو اجتماعية)، أو خياليا (ينتمي الى عالم اسطوري أو عجائبي).

خاتمة

- __غالبا مايجسد المكان المغلق فضاء حميميا مرتبطا بالانتماء والذاكرة والدفع العاطفي، خصوصا حين يتعلق بمكان خاص كالبيت، أو الغرفة أو الحجرة غير أنه في بعض السياقات، يتحول هذا الفضاء إلى مجال خانق يعكس الانغلاق النفسي أو الاجتماعي، ويعبر عن العزلة أو القمع.
- __يوحي المكان المفتوح بالحرية والانطلاق، إلا أن دلالاته لاتظل ثابتة، إذ قد يتحول إلى مرآة للتشتت، وضياع الهوية، لاسيما في السرديات التي تتناول المنفى أو الترحال أو الفقد.
- __يوظف الحيز كأداة لتكثيف الاحساس بالعزلة، التيه، الحلم، أو التوتر.
- __يلعب الحيز دورا في بناء التوتر السردى، اذ يتغير ويتحول بحسب تطور الاحداث، مما يعكس ديناميكية النص ويزيد من كثافته الفنية.
- __بعض النصوص تستثمر الحيز كأداة رمزية للتمرد أو الرفض، خاصة حينما يكون الحيز "ممنوعا" او "مغلقا"، مما يمنح البنية السردية بعدا نفسيا او أيديولوجيا.
- __الحيز في النصوص الشعرية يمكن ان يكون ذاتيا، حيث لايفهم بوصفه مكانا خارجيا، بل كامتداد داخلي للذات، تسقط عليه مشاعرها وانفعالاتها.
- __الحيز المتحرك (مثل السفر اوالترحال) يمنح النص طابعا ديناميكيا، ويسهم في تطوير الشخصية وتوسيع دائرة المعنى من المحلي الى الكوني.
- __يتكامل الحيز مع الزمن في خلق بنية سردية متماسكة، حيث لا ينفصل الفضاء عن الايقاع الزمني للأحداث، بل يتقاطع معه في خلق الایحاءات والتوترات.

خاتمة

—الاشتغال على الحيز يكشف وعي الكاتب بالبنية العميقة للنص، وبقدرته على تشكيل فضاء يعكس البعد الجمالي والفكري للعمل الادبي.

—توظيف الحيز في بعض الاعمال يفتح على قضايا كبرى كالهوية، الاغتراب، والبحث عن الذات، ويصبح المكان بمثابة مرآة تعكس قلق الانسان المعاصر، وموقعا للصراع بين الداخل والخارج، بين الواقع والحلم.

ورغم الأهمية التي يحظى بها هذا المفهوم إلا أن الافراط في توظيفه، او تغليب على باقي العناصر قد يؤدي الى قراءه انتقاليه تهمش وظائف السرد الأخرى لذلك تظل مقاربه الحيز بحاجة الى توازن دقيق بين التحليل النظري والتأويل الجمالي النصوص

المصادر والمراجع

1- المصادر:

-القرآن الكريم

2- المراجع

-عبد الملك مرتاض، القصة الجزائرية المعاصرة، 1990

المعاجم:

-أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب خليل أحمد خليل

-ابن منظور، لسان العرب

-جيرالد برنس، قاموس السرديات

-فيصل الأحمر، معجم السيميائيات

-كامل سليمان الجبوري، معجم الادباء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002

الكتب:

-حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي

-حسن نجمي، شعرية الفضاء السردى

-حميد حميداني، بنية النص السردى

-سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة

-شريط أحمد شريط، مباحث في الأدب الجزائري المعاصر

-عبد الملك مرتاض، ألف ياء

-عبد الملك مرتاض، ألف ليلة وليلة

-عبد الملك مرتاض، فنون النثر الادبي في الجزائر

-عبد الملك مرتاض، السبع المعلقات

-عبد الملك مرتاض، قضايا الشعرىات

-عبد الملك مرتاض، بنية الخطاب الشعري دراسة تشريحية لقصيدة أشجان يمنية

-عبد الملك مرتاض، السرد والسردانية

-فطيمة الزهرة بايزيد، التشكيلا لجماليلصورة الغلافوالعنوان (دراسة سيميائية)

-كلود عبيد، الألوان (دورها، تصنيفها، مصادرها، رمزيها، دلالتها)

-يوسف وغليسي، الخطاب النقدي عند عبد الملك مرتاض

المترجمة:

-استون باشلار، جماليات المكان، تر غالب هلسا

-ميشال بوتور، بحوث في الرواية الجديدة، تر فريد أنطونيوس

الاطروحات الجامعية:

-بوعلام محمدي، تقنيات السرد وأشكاله عند عبد الملك مرتاض

-حنان مقلاني، أبعاد المكان ودلالاته في رواية البيت الأندلسي لواسيني الأعرج دراسة سيميائية

-دراوي صارة، رتول عائشة، مع الأدب العربي القديم للدكتور داود سلوم

-سامية طواهرية، التفكير السيميائي عند عبد الملك مرتاض مقارنة وصفية

المجلات:

-أحمد بوعافية القصة الجزائرية المعاصرة بين النشأة والتطور

-خالد التواتي، مصطلح الفضاء من الاصل اللغوي الى الوضع الاصطلاحي في النقد العربي المعاصر

-زهراء حيدر لطيف السعيد، فاعلية الحيز المركب في السرد العربي متاهة حواء لبرهان شاوي أنموذجا

-طارق ثابت، عبد الملك مرتاض وجهوده في التنظير لتحليل الخطاب الأدبي المنهج السيميائي نموذجاً

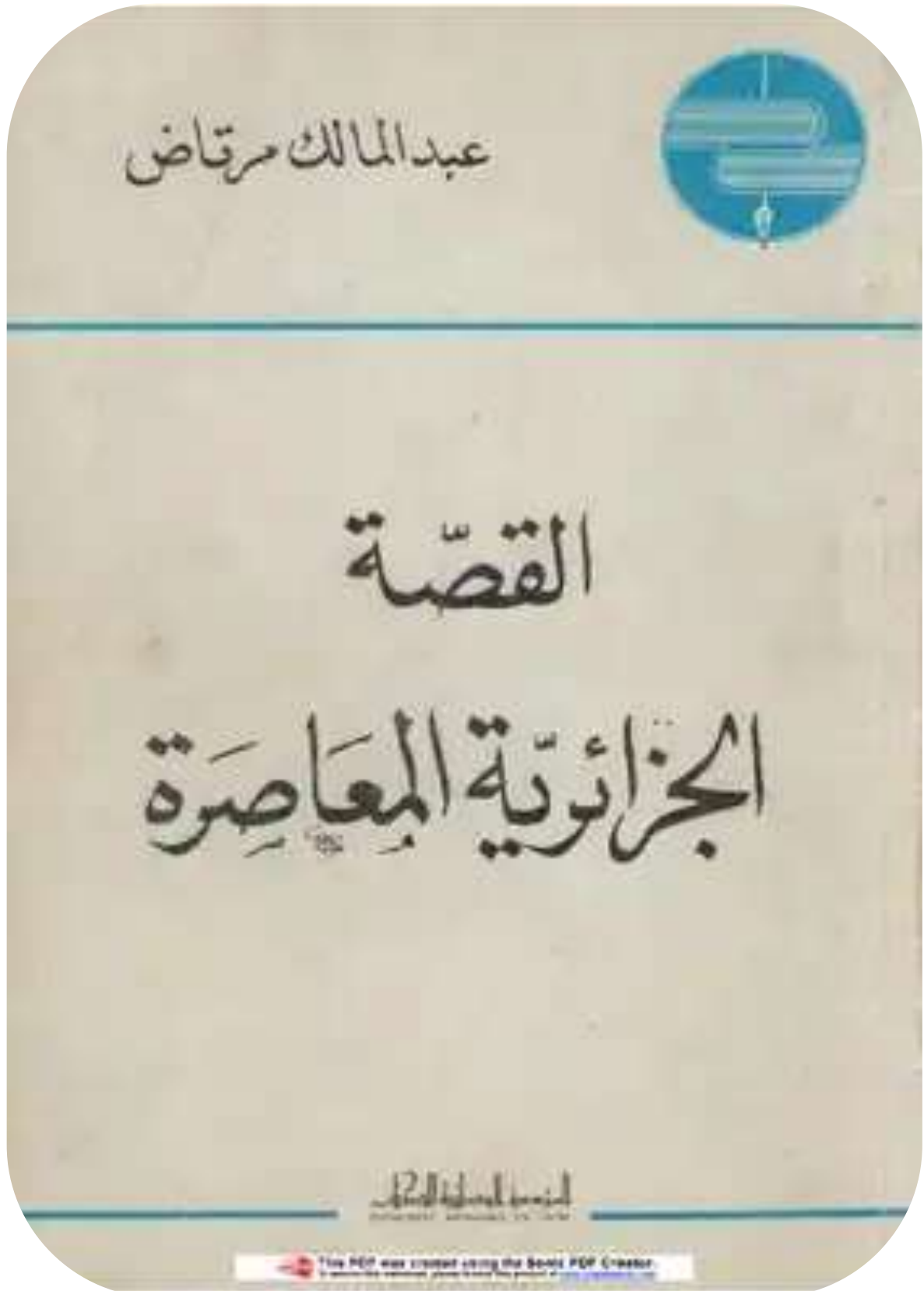
-عبد الملك بومنجل، قراءة عبد الملك مرتاض للنص الشعري العربي

- وفاء غالية، الفضاء الجغرافي والفضاء النصي في رواية شرق المتوسط لعبد الرحمان منيف.

ملحق



عبد الملك مرتاض



غلاف كتاب القصة الجزائرية المعاصرة

الملخص

الملخص:

تسعى هذه المذكرة إلى دراسة مفهوم الحيز ضمن المتن السردي الجزائري المعاصر، من خلال التركيز على كتاب القصة الجزائرية المعاصرة، باعتباره نموذجاً نقدياً يتعامل مع هذا المصطلح بجدية وعمق .

في الفصل الأول، تمت معالجة الجذور النظرية للحيز، كما طرحت في السياقين الغربي والعربي، مما أتاح فهماً مقارناً لكيفية تطور المفهوم .

أما الفصل الثاني، فقد خصص لتتبع تمثيلات الحيز داخل أعمال سردية معينة. مع التركيز على البعد التطبيقي للمفهوم. وقد أظهرت المعالجة النقدية أن الحيز يتداخل مع العناصر السردية الأخرى بطريقة معقدة وعضوية، حيث يؤدي أدواراً بنائية وجمالية ووظيفية.

وقد ختمت الدراسة بطرح بعض الملاحظات النقدية التي تتعلق بمحدود مفهوم الحيز في التحليل وكيفية تفادي الوقوع في التفسير الأحادي أو المغالاة في تأويل دلالاته

Resume

Ce mémoire vise à étudier le concept d'espace au sein du texte narratif algérien contemporain, en se concentrant sur "Le Livre de la nouvelle algérienne contemporaine" comme modèle critique abordant ce concept avec sérieux et profondeur.

Dans le premier chapitre, les racines théoriques de l'espace ont été traitées, telles qu'elles ont été formulées dans les contextes occidental et arabe, ce qui a permis une compréhension comparative de l'évolution du concept.

Le deuxième chapitre a été consacré à l'analyse des représentations de l'espace dans certaines œuvres narratives, avec un accent particulier sur l'aspect application pratique du concept. L'analyse critique a révélé que l'espace s'entrelace avec les autres éléments narratifs de manière complexe et organique, jouant des rôles structurels, esthétiques et fonctionnels.

L'étude s'est conclue par quelques observations critiques concernant les limites du concept d'espace dans l'analyse, et sur la manière d'éviter les pièges d'une interprétation réductrice ou d'une surestimation de ses significations.